مقدمـــــــــــــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

الحمد لله منزل الكتاب ، هازم الأحزاب ، منشئ السحاب ، جاعل الجنة مثوى كل عبد أواب ، يسر كتابه لذوى العقول والألباب ، فأخلصوا لربهم العمل إذ إليه المرجع والمآب ، وأعرض الخاسرون عن كتابه فهم فى تباب ، فقد قضى بالشقاء على من نبذ وراءه الكتاب .

ثم الصلاة والسلام على من ستفتح له الأبواب ، أبواب الجنان فإنها لغير محمد عن دخولها حجاب ، حتى إذا جاءها فتحت فهذه فاكهة وذاك الشراب ، ربنا هب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

وبعـــــــــــــــــــــــــــــد

فهذا مختصر فى تفسير سورة الفاتحة سهل الألفاظ واضح المعنى تزكية للنفوس من داء الغي[1] وجلاء للقلوب من ران العي حوى بين جنباته آيات كريمة وأحاديث نبوية شريفة وأقوالا للصحابة والتابعين والعلماء المعتبرين رضوان الله عليهم أجمعين ، وما كان لي من دور فى ذلك إلا جمع وترتيب هذه الأقوال مقدما لها أو مؤكدا لمضمونها مضيفا ما لا يخالف كتابا أو سنة أو إجماعا ، وما كان من ذلك قد خالف الصواب فهو باطل يضرب به وجه صاحبه . ولما كانت النفوس مجبولة على حب العجلة والراحة وكان فى هذا المختصر كفاية لطالب الكفاية فى الفاتحة فإني أخشى على قارئه السآمة لذا رأيت أن أشحذ الهمم بقول **الإمام النووى** رحمه الله (ولا ينبغي لطالب التحقيق والتنقيح والإتقان والتدقيق أن يلتفت الى كراهة أو سآمة ذوى البطالة وأصحاب الغباوة والمهانة بل يفرح بما

يجده من العلم مبسوطا وما يصادفه من القواعد والمشكلات واضحا مضبوطا ويحمد الله على تيسيره ويدعوا لجامعه الساعي في إيضاحه وتقريره وفقنا الله وإياكم لمعالي الأمور وجمع بيننا وبين أحبابنا فى دار الحبور والسرور) (2) أ . هـ

---

(1) العي / الجهل .

(2) شرح صحيح مسلم للنووي ج 1 ص 127 ط / دار المنار القاهرة الطبعة الأولى 1418 هـ -1997 م تحقيق صلاح عويضة . مراجعة - محمد شحاتة .

وقد سميت هذا المختصر نيل الأماني فى ظلال السبع المثانى مقتبسا نيل من الشوكانى والأماني من الشاطبى وفى ظلال من صاحب الظلال رحمه الله والسبع المثانى من القران الكريم ليكون ختام اسمه مسكا وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

سبب اختياري لهذا الموضوع : يرجع سبب إختيارى للكتابة فى هذا الموضوع الى أهمية سورة الفاتحة فى حياة المسلم حيث يقرأها فى كل ركعة لذا كانت الحاجة ملحة الى كتابة موضوع مستقل يجمع شتات التفسير فى شأن الفاتحة بأسلوب سهل ميسور يعرف من خلاله القارئ أحكام الفاتحة ومعانيها وفضائلها ، فإذا علم المرء معانيها الجمة ومراميها العظيمة واستحضر ذلك عند قراءتها فى كل ركعة خرج من الصلاة وقد وعظه القران وهذبه وأدبه وعلمه وزكاه وطهره وصار عبدا لله خالصا ، تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر ومن لم يكن كذلك فصلاته جسد بلا روح وشجرة بلا ظل ولا ثمر لذلك كله استعنت بالله وعزمت على الكتابة فى تفسير سورة الفاتحة .

وقد كان منهجى فى هذا البحث على النحو الأتى :

أولا : الاستدلال بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين والعلماء المعتبرين مع ذكر رقم الآية وتخريج الحديث من الصحيحين أو من أحدهما أو من غيرهما إن وجد ونسبت كل قول الى قائله على قدر جهدي واستطاعتي مع ذكر المصادر التي أخذت منها تلك الأقوال .

ثانيا : تناولت القراءات الواردة فى سورة الفاتحة لبيان أن هذه الأوجه جائزة لا شئ فيها فلا ينكر على من يقرأ بها .

ثالثا : ذكرت إعراب سورة الفاتحة إتماما للفائدة .

رابعا : رجعت الى المعجم اللغوى لمعرفة أصل الكلمة ومدلولها اللغوي مع نقل أقوال المفسرين فيها ليتضح المعنى فى تلك الكلمة لغة وشرعا .

خامسا : قمت بتحرير محل النزاع بين العلماء خصوصا الفقهاء منهم فى المسائل التى اختلفوا فيها متى أمكننى ذلك .

سادسا : قسمت هذا البحث الى مقدمة وفصلين وخاتمة . وعند بداية كل فصل أذكر مباحثه ليكون القارئ على دراية بمحتواه ومضمونه .

سابعا : حرصت على اختيار اللفظ المناسب والعبارة السهلة ليكون هذا العمل فى متناول الجميع والله أسأل أن ينفع به المسلمين وأن يكون وعلما نافعا وعملا صالحا وأن يجعله لوجهه خالصا إنه ولى ذلك والقادر عليه والله المستعان وعليه التكلان .

الفصـــــــــــــل الأول

(بين يدي الفاتحـــــــــــــــة)

وفيـــــه مباحـث :

المبحــث الأول : فضل القران الكريم .

المبحـث الثانى : فضل سورة الفاتحة .

المبحـث الثالث : الأحكام الفقهية المتعلقة بسورة الفاتحة .

المبحث الرابع : القراءات الواردة فى سورة الفاتحة .

المبحث الخامس : إعراب سورة الفاتحة .

المبحث الأول

فضل القران الكريم

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عبده الذي اصطفى .....

وبعـــــــد

فإن الله أنزل كتابه وجعله هدى للمتقين ، الذين أغلقوا أبواب الشهوات والشبهات فاتقوا بذلك غضب رب الأرض والسماوات فجزاهم الله بأن يسر لهم سبل طاعته وفتح لهم فى الدنيا والآخرة أبواب جنته فإن فى الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة والجزاء من جنس العمل قال سبحانه (هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب جنت عدن مفتحة لهم الأبواب) (1) وجعل سبحانه السعادة فى القرب منه وملازمته وجعل الشقاوة فى البعد عنه ومباعدته فقال سبحانه [وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا] (2) وقال أيضا [ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى] (3) وجعله أحسن حديث تسمعه الآذان إلى يوم القيامة فقال [الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى] (4)

وحكم رسول الله بالخيرية لمن تعلمه وعلمه فقال رسول الله (خيركم من تعلم القران وعلمه) (5) رواه البخارى وأخبر عليه السلام عن شفاعة القران لأهله فقال (اقرأوا القران فانه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه) (6) وأخبر النبي بأن الرفعة الحقيقية فى رفعة أهل القرآن وأن المهانة هى مهانة من حط قدره القران قال ((إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به أخرين)) (7) فالقران

حياة القلوب وبهجة النفوس يحيا به العبد أهنأ لحظات حياته يهيم فى رياضه ويسبح فى جنانه . فيتنفس نسيمها الزكي ويبهج عينيه بألوانها الباهرة ويسمع أصوات أغصانها المطربة فتكاد القلوب تطير . قيل لأحدهم ألا تنام قال : إن آيات القران أطرن النوم من عيني ، ما أخرج من أعجوبة إلا دخلت فى أخرى نعم أيها الحبيب [يأخذك كتاب الله فى جولات وجولات ترداد آفاق السماء تجول فى جنبات الأرض والأحياء ، يقف بك عند زهرات الحقول ويصعد بك الى مدارات الكواكب والنجوم يفتح بصرك وبصيرتك الى غاية إحكام وإتقان ما له مثيل يكشف لك أسرار الخلق والتكوين ويهديك الى الحكمة من الإنشاء والتصوير

ثم يخاطب الفؤاد بقولـــــــــــــــــــــــــــــه

(1) سورة ص أية 49 – 50

(2) الاسراء 82 (3) طه 124 -125 – 126

(4) الزمر 23

(5) عثمان بن عفان فتح البارى شرح صحيح البخارى ج 8 ص 691 رقم 5027 دار المطبعة السلفية بالقاهرة الطبعة الثالثة 1407 هـ 13 مجلد .

(6) فى صحيح مسلم للنووى ج 6 ص 422 رقم 804

(7) المصدر نفسه ج 6 ص 428 رقم 817

[أأله مع الله تعالى الله عما يشركون] (1) . ثم يبهج الآذان ويطرب القلوب بذلك التعقيب الإلهي [لعلهم يذكرون ؛ لعلهم يتفكرون ؛ لعلهم يرجعون] كل هذا و بعضهم عنه معرضون إنه حديث طويل يطالعك فى طوال السور وقصارها لكنه مع ذلك شائق وجميل تسكن إليه النفوس ويتلذذ به السمع وتتحرك له الأحاسيس والمشاعر ومع هذا ينبه الغافل ويدمغ المجادل المكابر إذ هو حق .

[والحق شمس والعيون نواظر لا يختفي إلا على العميان

والشرع والقران أكبر عدة فهما لقطع جدالهم سيفان] (2)

نعم أيها الحبيب إن هذا القرآن يكفل للمرء حياة سعيدة يعبر عنها أحدهم بقوله والله إنه ليأتي على القلب ساعات يرقص القلب فيها طربا من لذة ذكر الله وإن فى قلوبنا من اللذة ما لو علمه الملوك لقاتلونا عليه بالسيوف ولو أن أهل الجنة فى مثل هذا النعيم إنهم لفي خير عظيم . وإنما يحصل تمام تلك اللذة وكمال هذه السعادة بأمرين الأول أن تفهم عن الله مراده وتعي ما تشير إليه الآيات ولهذا كانت هذه الكلمات لنعلم معا ما تحويه الفاتحة من أسرار وعجائب وآيات وغرائب والثاني أن تستشعر مخاطبة الله لك فى هذا القران يقول ابن القيم .((إذا أردت الانتفاع بالقران فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه واحضر حضور من يخاطبه ربه

فانه خطاب منه لك على لسان رسوله . قال تعالى [إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد] (3) أ . هـ)) (4)

فترى نفسك بعين البصيرة إنسانا ضعيفا ضئيلا فى هذه الأرض وكذلك الأرض تبدو ضئيلة فى هذا الخصم من الفضاء والأفلاك ؛ والكون بمجراته ونجومه يبدو ضئيلا فى محيط السماء الدنيا والسماء الثانية أعظم من السماء الأولى وهكذا السماوات السبع ؛ وهن بالنسبة للكرسي كحلقة فى فلاة أي صحراء والكرسي فى العرش كحلقة فى فلاة قال رسول الله ((ما السماوات السبع فى الكرسي إلا كحلقة فى ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة)) (5)

والله فوق العرش يدبر أمر الخلق سبحانه ما أعظمه له الكمال كله بيد أنه خاطب هذا العبد الضعيف فضلا منه ورحمة ونسب هذا العبد إليه فقال سبحانه [وإذا سألك عبادى عنى فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون] (6)

(1) النمل 63

(2) بتصرف يسير من دعوة للتأمل للشيخ / على القرني ص 9 ط أولاد الشيخ للتراث الطبعة الأولى 1419 هـ 1999 م (3) ق 37

(4) الفوائد لأبن القيم ص 4 ط دار المنار القاهرة راجعه محمد الزغبى الطبعة الأولى 1415 هـ 1995 م

(5) صحيح عن أبى ذر السلسلة الصحيحة للألباني ج 1 ص 173 رقم 109 ط المكتب الاسلامى الطبعة الثالثة 1403 هـ 1983 م

(6) البقرة 186

ولعل هذا من أسرار الآيات التي وردت في أخر سورة الحشر حيث ذكر سبحانه أن هذا القرآن لو نزل على جبل لخشع له وتصدع ثم أردف هذه الآية بثلاث آيات بها صفات الرحمن وأسماؤه وكأن الله يريد أن ينبه العبد الى هذه الحقيقة الغائبة وهى أن الانتفاع بالقرآن وأثره في القلوب وحصول اللذة التامة عند تلاوته كل هذا مرهون بتعظيم العبد ربه ومعرفته بمولاة وهذا التعظيم وتلك المعرفة إنما يهتدي إليها من أسمائه تعالى وصفاته وإلى هذه الحقيقة أشار صاحب الظلال بقوله

((الحياة فى ظلال القرآن نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها والحمد لله لقد منَّ الله على بها فترةً من الزمن عشت فيها أسمع الله يتحدث إلىَّ بهذا القرآن أنا العبد القليل الصغير أى تكريم للإنسان هذا التكريم الجليل ؛ أي رفعة للعمر يرفعها هذا التنزيل أى مقام كريم يتفضل به على الإنسان خالقه الكريم ومن ثم عشت فى ظلال القرآن هادى هادئ النفس مطمئن السريرة)) (1)

فى ظلال القرآن سيد قطب رحمه الله جـ 1 ص 11 ط دار الشروق الطبعة السابعة عشرة - 1990 م

6 مجلدات

المبحث الثاني

((**فضل سورة الفاتحة**))

نبه سبحانه وتعالى على فضل الفاتحة فقال [ولقد ءاتينك سبعاً من المثانى والقرآن العظيم] (1) والسبع المثانى هى الفاتحة على أصح الأقوال وهى سبع آيات نزلت بمكة بعد سورة المدثر قاله ابن عباس وقتادة ورجحه ابن كثير وقيل نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينه وذكر ابن كثير أن كلماتها خمس وعشرون كلمه وحروفها مائة وثلاثة عشر حرفاً والقرآن العظيم المذكور فى الآية هو الفاتحة أيضاً حيث حوت محاور القرآن وقضاياه الأساسية)) (2) ودليل ذلك ما رواه البخاري عن أبى سعيد بن المعلى قال : مر بى النبى وأنا أصلى فدعاني فلم آته حتى صليت ثم أتيت فقال ما منعك أن تأتيني فقلت : كنت أصلى فقال : ألم يقل الله [يأيها الذين أمنوا استجيبوا لله وللرسول] ثم قال ألا أعلمك أعظم سورة فى القرآن قبل أن أخرج من المسجد فذهب النبى ليخرج فذكرته فقال : الحمد لله رب العالمين هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته)) (3) ومما ورد فى فضلها أيضاً حديث ابن عباس قال بينما جبريل قاعد عند النبى اذ سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه فقال : هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط الا اليوم ونزل منه ملك لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال : أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منها إلا أعطيته)) (4) . رواه مسلم قال شارحه والمعنى أن من قرأهما بإخلاص أعطاه الله ما فى الآيات من الهداية والمغفرة والسعادة فى الدنيا والآخرة)) (5) وعن أبى هريرة عن رسول الله قال يقول الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل إذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله : حمدنى عبدى وإذا قال العبد : الرحمن الرحيم قال الله : أثنى على عبدى وإذا قال : مالك يوم الدين قال الله : مجدني عبدي وإذا **قال :** إياك نعبد وإياك نستعين قال الله : هذا بيني وبين عبدى ولعبدي ما سأل فإذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط اللذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الله هذا لعبدي ولعبدي ما سأل)) (6) رواه مسلم

(1) سورة الحجر 87 (2) صحيح مختصر ابن كثير ج 1 ص 21 وج 2 ص 973 اختصره أحمد عبدالرازق البكرى ومحمد عادا محمد ومحمد عبداللطيف خلف ط دار السلام الطبعة الثانية 1422 هـ - 2002 م

(3) الفتح ج 8 ص 6 رقم 4474

(4) شرح النووى باب فضل الفاتحة ج 6ص 423 رقم 806

(5) نزهة المتقين ج 2 ص 761 د/مصطفى سعيد ود/ مصطفى البغا على الشربجى محمد أمين لطفى ومحى الدين

مستو ط/ مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية عشر 1406 هـ- 1986 م

(6) شرح النووى ج 4 ص 78 رقم 395 باب وجوب قراءة الفاتحة

وأما عن أقوال العلماء فى شرف الفاتحة وفضلها فمرجعه الى أن هذه السورة المباركة جمعت مقاصد

الشرع وقضاياه الأساسية مما جعلها بمكانة ليست لغيرها من السور يقول الإمام ابن القيم ((ونحن بعون الله ننبه على فضل القرآن وهدايته بالكلام على فاتحة الكتاب وأم القران وعلى بعض ما تضمنته هذه السورة من المطالب العالية وما تضمنته كذلك من الرد على الطوائف المبتدعة وما تضمنته من منازل السائرين ومقامات العارفين والفرق بين وسائلها وغاياتها وبيان أنه لا يقوم غير هذه السورة مقامها ولذلك لم ينزل الله فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى القران مثلها والله المستعان)) (1) ويقول أيضا رحمة الله ((أول هذه السورة رحمة وأوسطها هداية وأخرها نعمة وحظ العبد من النعمة على قدر حظه من الهداية وحظه من الهداية على قدر حظه من الرحمة فعاد الأمر كله الى نعمته ورحمته والنعمة والرحمة من لوازم روبيته ومتى تحققت فى العبد معانى الفاتحة من علم ومعرفة وعمل وحال فقد فاز من الكمال بأوفر نصيب وصارت عبوديته لله عبودية الخاصة اللذين ارتفعت درجاتهم عن عوام المتعبدين)) (2) ويقول صاحب الظلال فى معرض كلامه عن الفاتحة ((إن فى هذه السورة من كليات العقيدة الإسلامية و كليات التصور الإسلامي وكليات المشاعر والتوجيهات ما يشير الى طرف من حكمة اختيارها للتكرار في كل ركعة وبطلان كل صلاة لا تذكر فيها)) (3) ويقول العلامة عبدالرحمن السعدى مشيدا بفضلها إذ جمعت ما لم يجمعه غيرها على قلة ألفاظها ((وقد اشتملت السورة الكريمة على توحيد الربوبية فى قوله تعالى [رب العالمين])) وعلى توحيد الألوهية في قوله تعالي ((إياك نعبد)) وعلي توحيد الأسماء والصفات دل عليه لفظ الحمد إذ لا يحمد إلا من ثبت له صفات الكمال بغير تعطيل ولا تأويل ولا تشبيه وعلى اثبات النبوة فى قوله تعالى [اهدنا الصراط المستقيم] وذلك ممتنع بغير رسالة وعلى الجزاء على الأعمال فى قوله ((مالك يوم الدين)) وعلى اثبات القدر وأن العبد فاعل على الحقيقة فى قوله اهدنا

الصراط المستقيم)) (4) ويعنى بإثبات القدر ان العبد يسأل ربه الهداية لأنه يعلم أن الهداية بمشيئته ونسبة الهداية

للعبد فمعناها أنه كذلك له مشيئة فى ذلك فالله هاديه والعبد مهتد والله أعلم

ويقول الشيخ أبوالحسن الندوى

فى كتابه

الأركان الأربعة مشيرا الى عجيب أمر الفاتحة حيث توافقا مع فتر الخلق ونفوسهم على اختلا ف

طبقاتهم وتفنن حاجاتهم ((تأمل في سورة الفاتحة التي هي الدرة الفريدة في المعجزات السماوية وقطعه رائعة من القطع البيانية لو اجتمع أذكياء العالم وأدباء الأمم وعلماء النفس وقادة الإصلاح وزعماء الروحانية

(1) تهذيب مدارج السالكين ص 16 مجلد 1 راجعه محمد بيومى ط مكتبة الإيمان 1418 هـ - 1997م

(2) الفوائد ص 26

(3) فى ظلال القران ج 1 ص 21 (4) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ج 1 ص 4 تأليف العلامة عبدالرحمن السعدى مراجعة علاء السعيد ط دار الفكر بيروت 1415 هـ 1995م 5 مجلدات

على أن يضعوا صيغة واحدة يتفق عليها البشر على اختلاف طبقاتهم وتنوع حاجاتهم وتشتت خواطرهم يتقدمون بها أمام ربهم ويتعبدون بها فى صلواتهم تعبر عما فى ضمائرهم ومشاعرهم وتفي بحاجاتهم وأغراضهم لما جاءوا بأحسن منها أو مثلها وصدق الله إذ يقول ((كل لأن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القران لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)) (1) ويقول الدكتور مختار عطية بعدما استعرض بلاغة الإيجاز فى سورة الفاتحة منوها على ارتباط معانى الفاتحة وألفاظها بعضها ببعض ((وهكذا ترتبط الآيات بعضها ببعض إذ نجد أن السورة كلها تنطوى على إيجاز و اختصار عظيمين إذ يرتبط الحمد فيها بنسبة الملك يوم الدين لله فمن استوجب الحمد والتعظيم إنما يكون لأحد أربعة وجوه أحدها كماله في ذاته وصفاته ، ***ثانيها*** إحسانه وإنعامه ثالثها رجاء تواصل هذا الإحسان في المستقبل ، رابعها الخوف من قهره وسطوته فكأنه تعالى يقول إن كنتم ممن يعظمون الكمال الذاتي فإنني اله العالمين وهو المراد من قوله ((الحمد لله)) وان كنتم تعظمون للإحسان فأنا ((رب العالمين)) وإن كنتم تعظمون للطمع في المستقبل فأنا الرحمن الرحيم)) وان كنتم تعظمون للخوف فانا ((مالك يوم

الدين)) (2) ويقول الشيخ محيى الدين الدرويش مشيراً الى حسن استهلال القران بالفاتحة ((استهلال القران بالفاتحة في غاية البراعة والحسن واصل ذلك ان يبتدئ المتكلم كلامه بما يشير الى الغرض المقصود من غير تصريح بل بإشارة لطيفه او إيماءة بعيده أو قريبة فأشارت الفاتحة الى مقاصد القرآن وقضاياه مجمله على قلة ألفاظها وإيجاز عباراتها)) (3) وتأمل فى هذه السورة الكريمة تجد بها طرفاً وفوائد تستميل القلوب وتبهج النفوس وتبعد عن قارئها السآمة والملل :

ومن جملة هذه الفوائد :

أولاً: آيات الفاتحة إما غيبية وإما تكلم بمعنى أنه لم يأت فيها التفات الى الخطاب فلم يقل سبحانه إياي اعبدوا ولم يقل احمدوني وكأنه تعالى يريد أن ينبعث هذا الشعور وتلك المعانى من نفس العبد وقلبه فينطق بها القلب قبل أن يلفظ بها اللسان فيكون العبد فى ذلك مخبراً عن حاله .

ثانياً : جميع آيات الفاتحة إما فيها تصريح بإسمه تعالى أو ضمير يعود على الله سبحانه سواء أكان ظاهراً أم مستتراً يدل عليه المعنى ويستشعره المرء بمجرد التلاوة وكأنه تعالى يريد من عبده ألا يغفل عن معية ربه لحظة حيث جعل ذلك فى كل آية ولعل هذا سبب فى تسميه الفاتحة الصلاة إذ غاية الصلاة .

---

(1) الإسراء 88

(2) الإيجاز فى نص الإعجاز ص 192 تأليف د/مختار عطية المدرس بكلية الآداب جامعة المنصورة طبعة دار المعرفة الجامعية 1997م

(3) إعراب القرآن وبيانه ج 1 ص 18 تأليف محيى الدين الدرويش ط دار ابن كثير بيروت الطبعة الثالثة 1412هـ 1992م 10مجلدات

صله العبد بربه والفاتحة أشد الأركان أنساً بالله حيث جمعت بين كونها صلاة يكلم العبد فيها ربه وبين كونها قرآناً يكلم الرب فيه عبده فاكتملت المعية فى أسمى معانيها .

ثالثاً : قال تعالى ((ألا بذكر الله تطمئن القلوب)) (1) وكان النبى إذا فزعه أمر هرع الى الصلاة وكان يقول أرحنا بها يا بلال (2) وجمعت الفاتحة بين كونها ذكراً لله فتطمئن بها القلوب وكذلك هى صلاة وجزء منها فتحصل بها الراحة وذهاب السوء فاكتمل فيها من معانى الراحة والاطمئنان مالم يكتمل فى غيرها .

رابعاً: قال تعالى ((إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر ....)) أى أكبر فى النهى عن الفحشاء والمنكر[3] على قول بعضهم فجمعت الفاتحة بين الصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر وبين الذكر الذى هو أكبر فى النهى عن ذلك فكانت أعظم رادع عن حدود الله ومعاصيه إذ هى من أفضل الذكر القران وكذلك سماها الله صلاة إذ هى ركن من أركانها .

ومما يزيد الفاتحة شرفا وفضلا كثرة أسمائها :

ذكر القرطبى[4] للفاتحة أسماء كثيرة كل اسم منها حوت الفاتحة مقصده ومنتهاه وكذلك ذكر صاحب الإتقان[5] نيفا وعشرين اسما غير أن السنة لم يرد فيها إلا أربعة أسماء فاتحة الكتاب وأم القران والسبع المثانى وأم الكتاب [6] .

أول **هذه الأسماء الصلاة** : لقوله تعالى فى الحديث القدسي ((قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدي .....)) (7) وسميت بذلك لأنه لا صلاة بدونها ؛ أو سميت بذلك أنها دعاء والصلاة لغة الدعاء قال تعالى ((وصل عليهم)) أى ادع لهم قاله الشيخ أبوبكر الجزائرى فى محاضراته

ثانيها: **الحمد :** لأنها بدأت بقوله تعالى [الحمد لله رب العالمين] .

ثالثها: **فاتحة الكتاب :** لأنه يفتتح بها القران وكذلك الصلاة تفتتح بها بالنسبة للقراءة فسميت الفاتحة .

رابعها : **أم الكتاب** : وقد كرهه بعضهم كابن سيرين لقوله تعالى [وعنده أم الكتاب] [8])) (9) ومذهب الجمهور أنه اسم للفاتحة لما ثبت فى الحديث الذى رواه الترمذي وصححه عن أبى هريرة (رضي) قال قال رسول الله ((الحمد لله رب العالمين أم القران وأم الكتاب والسبـــــــع المثانى

(1) الرعد 28 (2) رواه أبو داود فى سننه كتاب الأدب رقم 4334 والطبراني فى المعجم الكبير (موسوعة الحديث الشريف الإصدار الثاني شركة البرامج الإسلامية الدولية اسطوانة حاسب ألي

(3) فتح القدير للشوكانى ج 4 ص 256 ط دار المعرفة بيروت الطبعة الأولى 1415هـ

(4) الجامع لأحكام القران للقرطبى ج 1 ص 159 ط دار الغد العربي الطبعة الخامسة 1988م – 1409هـ 10 مجلدات

(5) الإتقان فى علوم القران للسيوطى ج 1 ص 75 ط دار الفكر بيروت الطبعة الأولى 1420هـ - 1999م مجلدين. (6) محاضرات فى تفسير الفاتحة للشيخ أبى بكر الجزائرى شرائط كاسيت

(7) سبق تخريجه ص 7

(8) الرعد 39

(9) فتح القدير للشوكانى ج 1 ص 19 ط دار المعرفة بيروت 5 مجلدات

والقران العظيم)) (1) ((وسميت أم الكتاب لأنها أمت الكتاب بالتقدم)) (2)
خامسها: **أم القران** للحديث الذى تقدم وصححه الألباني ويقول الشيخ أبوبكر الجزائرى معلقا على هذا الاسم ((وسميت أم القران حيث إن الأم هى الأصل الذى يتفرع منه الفروع والفاتحة كذلك فمحاور القران وقضاياه أربعة أمور
الأول : التوحيد وافتتاح السورة بالحمد لله والثناء عليه إشارة الى هذا الأمر
الثاني : الميعاد وقوله مالك يوم الدين يتضمن البعث والجزاء واليوم الأخر .
الثالث : التشريع فى العبادات والأحكام الشرعية وقوله ((إياك نعبد يتضمن العبادات والأحكام والمعاملات لأنها جميعا عبادات تعبدنا الله بها والاستسلام لها .
الرابع : القصص القرانى وقوله تعالى [اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم] يتضمن الإشارة الى قصص الأنبياء والصالحين وقوله تعالى [غير المغضوب عليهم ولا الضالين] يتضمن الإشارة الى قصص العتاة المفسدين المعاندين وكذلك الجاهلين)) (3)
سادسها: السبع المثانى لأنها سبع آيات بالإجماع وسميت مثانى لأنها تثنى فى كل ركعة أى تتكرر وقال مجاهد سميت مثانى لأن الله استثناها لهذه الأمة فذخرها لهم)) (4)
سابعها : القران العظيم لأنها أعظم سورة فيه لاشتمالها على مقاصده .
ثامنها : الرقية لحديث سيد الحي الملدوغ وفيه قول النبى ((ومن أدراك أنها رقية)) (5) متفق عليه بعدما قراها أبوسعيد الخدرى على سيد الحي ثلاثا أو سبعا .
تاسعها : الشفاء ويجمل هنا أن نذكر تعليقا لأبن القيم رحمه الله على حديث سيد الحي حيث قال ((وقد أثر هذا الدواء فى هذا الداء وأزاله كأن لم يكن وهو أسهل دواء وأيسره ولو أحسن العبد التداوى بالفاتحة لرأى لها تأثيرا عجيبا فى الشفاء ومكثت مدة بمكة تعترين أدواء ولا أجد طبيبا ولا دواء وكنت أعالج
نفسي بالفاتحة وأرى لها تأثيرا عجيبا وكنت أصف ذلك لمن يشتكى ألما فكان كثيرا منهم يبرأ سريعا)) (6)
عاشرهـــا : الأساس قال ابن عباس لكل شئ أساس وأساس القران الفاتحة وأساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم)) (7)
الحادي عشر: الوافية لأنها لا تنتصف ولا تتجزأ .
الثانى عشر : الكافية لأنها تكفى عن سواها ولا يكفى سواها عنها .

(1) صحيح الجامع الصغير للألباني ج 1 ص 607 رقم 3184 ط المكتب الاسلامى مجلدين 1408هـ - 1988م

(2) زاد المسير فى علم التفسير لأبن الجوزى ج 1 ص 10 المكتب الاسلامى 9 مجلدات الطبعة الثالثة 1402هـ - 1984م .
(3) محاضرات الشيخ الجزائرى
(4) معالم التنزيل للإمام البغوى ج 1 ص 49 8 مجلدات ط دار طيبة الرياض حققه محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة وسليمان الحرش طبعة 1409هـ
(5) الفتح ج 4 ص 529 رقم 2276 وصحيح مسلم بشرح النووى ج 14 ص 333 رقم 2201
(6) الداء والدواء لأبن القيم ص 7 تحقيق عبد الحميد هنداوى ط دار الصحيفة بالقاهرة مجلد واحد
(7) تفسير ابن كثير ج 1 ص 8 ط دار مصر القاهرة 4 مجلـــــدات

هذا ما تيسر جمعه من أسماء هذه السورة الكريمة وان كان بعض العلماء قد زاد على هذه الأسماء فقد تركنا هذا لمصلحة وهى خشية الإطالة وتجنب ما فيه تكلف من هذه الأسماء وفيما ذكرناه غاية لمن أراد فى ذلك الكفاية .

ومما سبق

من آيات وأحاديث وأقوال وفوائد وأسماء يتضح بجلاء أن هذه السورة الكريمة كادت أو تكون قد اشتملت على الدين كله مما جعلها فى أوجز ألفاظ وأسلس أسلوب وأدق عبارات تذكر القلب فى أقل وقت بمعان جمة يحتاجها القلب فى طريقه الى الله مما يقصر الطريق على هؤلاء التائهين الذين لا يستطيعون أن يوفقوا بين مطالب الشرع ومقاصده فى أن واحد فيهتمون بجانب على حساب أخر .

لذلك كله فرض الله قراءتها فى كل ركعة وحكم ببطلان كل صلاة لا تقرأ فيها أم القران .

مما يجدر بالذكر فى نهاية كلامنا عن فضل الفاتحة وشرفها أن بعض الناس أفرطو وجاوزوا الحد فى أمر الفاتحة فأدخلوها فى أمور لم ينزل الله بها من سلطان ومن المعلوم أن العبادات والأجور من الأمور التوفيقية فلا يجوز التعبد ولا ابتغاء الأجر إلا فيما ورد فيه دليل شرعى بذلك ((ومن جملة هذه البدع المتعلقة بالفاتحة قراءتها

بينه قضاء الحوائج وتفريج الكربات وقول بعضهم بعد قراءة القران : الفاتحة وقولهم عند قراءة الفاتحة : صلوا عليه وسلموا تسليما وقول القارئ : الفاتحة زيادة فى شرف النبى قال الحافظ ابن حجر العسقلانى معلقا على ما سبق هذا أمر مخترع من أهل العصر)) (1) .

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يجنبنا البدع والأهواء وأن يحفظنا من الإفراط والتفريط وأن يهدينا بين ذلك صراطا مستقيما انه ولى ذلك والقادر عليه والحمد لله رب العالمين .

---

(1) أبرع القراء القديمة والمعاصرة للشيخ بكر بن عبدالله أبوزيد ص 15 قطاع صغير طبعة مكتبة السنة القاهرة الطبعة الأولى 1420هـ - 1999م .

المبحث الثالث

((الأحكام الفقهية المتعلقة بسورة الفاتحة))

وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول : هل تتعين قراءة الفاتحة فى الصلاة .

المطلب الثانى : هل تجب قراءة الفاتحة على المأموم .

المطلب الثالث : هل البسملة أية من الفاتحة .

المطلب الرابع : هل يسر بالبسملة أم يجهر بها .

المطلب الخامس : أخطاء فى الفاتحة تبطل بها الصلاة .

المطلب الأول

هل تتعين قراءة الفاتحة فى الصلاة

اختلف الفقهاء فيما تتعين قراءته فى الصلاة من القران على مذهبين :

المذهب الأول :لا تتعين قراءة الفاتحة فى الصلاة بل يجزئ أى قدر من القران ولو أية واليه ذهب أبوحنيفة (1) وأحمد (2) فى رواية عنه واستدل أصحاب هذا المذهب بالكتاب والسنة والمعقول

1- **أما الكتاب** فقوله تعالى [فاقرؤوا ما تيسر من القران] (3)

2- **أما السنة** :- 1- فيما ثبت فى الصحيحين من حديث أبى هريرة فى قصة المسئ صلاته أن رسول الله قال : إذا قمت الى الصلاة فكبروا ثم اقرأ ما تيسر معك من القران)) (4) فأمره بالقراءة ولم يعين له الفاتحة

2- حديث أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ((لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب أو غيرها)) (5) والمعنى أن غيرها يكفى عنها .

ج- وأما المعقول :

فلأن سورة القران فى الحرمة سواء فكذلك فى الصلاة بدليل تحريم قراءة الجميع على الجنب)) (6)

(1) الهداية مع الفتح للمرغينانى ج 1 ص 330 ط دار الفكر بيروت لبنان .

(2) المغنى للعلامة ابن قدامه المتوفى سنة 630 هـ ط دار الحديث القاهرة الطبعة الأولى 1416هـ - 1996م

ج 2 ص 30 (3) المزمل 20 .

(4) الفتح حـ 2 ص 276 رقم 757 ومسلم حـ 4 ص 81 رقم 397

(5) أخرجه أبوداود رقم 818 بلفظ أمرنا)) وابن ماجه رقم 839 وفى اسنادة ابوسفيان السعدى وهو ضعيف وقال عبدالبر أجمعوا على تضعيفه انظر المجموع للنووى ج 3 ص 274 تحقيق د/ محمود مطرجى ط دار الفكر بيروت الطبعة الأولى 1417هـ / 1996م

(6) المغنى ج 2 ص 30

مناقشة :-

نوقشت أدلة أصحاب هذا المذهب بما يأتى .

أولا : ((الآية التى احتجوا بها وردت فى قيام الليل لا فى قدر القراءة)) (1)

و((تحتمل الآية أنه أريد الفاتحة وما تيسر معها ويحتمل أنها نزلت قبل الفاتحة لأن هذه الآية نزلت بمكة)) (2)

ثانيا : ((أجيب عن حديث المسئ صلاته بأنه يحتمل أن الرجل لم يكن يحسن الفاتحة أو يحمل على الفاتحة وما تيسر معها لما رواه الشافعي بإسناده عن رفاعة ابن رافع أن النبى قال للأعرابي ((ثم اقرأ بأم القران وما شاء الله أن تقرأ)))) (3)

((وهذا الحديث صححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي)) (4)

ثالثا :- ((أجيب عن حديث أبى سعيد الخدرى بأنه حديث ضعيف لا تقوم به حجة فلا يقوى على معارضة الأحاديث الصحاح التى توجب قراءة الفاتحة وأن أبا سعيد راوي هذا الحديث قد روى عنه أبو داود حديثين فى هذا الأمر هذا الحديث وحديث أحر بإسناد صحيح على شرط الشيخين قال ((أمرنا أن نقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر)) فتعارض الخبران عنه فوجب تقديم أصحهما وهو الثانى)) (5)

رابعا :- ((أجيب عن قولهم أن سور القران فى الحرمة سواء فكذا فى الصلاة بأنة لا يلزم من استوائها

فى الحرمة استواؤها فى الأجزاء فى الصلاة لاسيما وقد ثبتت الأحاديث الصحيحة فى نفس الفاتحة فوجب المصير إليها)) (6) و((قد أجمعوا على أن من ترك الفاتحة كان مسيئا بخلاف بقية السور وهذا **فرق بينها وبين غيرها من السور بل إن أبا حنيفة ذهب الى أن المكروه فى القراءة ترك قراءة الفاتحة**)) (7)

المذهب الثاني : (8)

تتعين قراءة الفاتحة فى الصلاة ولا تجزئ الصلاة بدونها وهو مذهب جمهور الفقهاء من المالكية (9) والشافعية (10) والحنابلة فى الرواية الثانية عن أحمد واستدلوا بحديث عبادة ابن الصامت قال : قال رسول الله ((لا صلاة لمن لا يقرا بفاتحة الكتاب)) (11) رواه البخارى ومسلم

---

(1) المجموع ج 3 ص 275
(2) المغنى ج 2 ص 30
(3) المصدر السابق نفسه ج 2ص 30
(4) انظر المجموع ج 3 ص 306
(5) المجموع ج 3 ص 275
(6) المرجع السابق نفسه ج 3 ص 275
(7) شرح فتح القدير لأبن الهمام الحنفي ج 1 ص 332 دار الفكر بيروت لبنان ومع الهداية وشرح العناية
(8) أحكام القران لابن العربي ج 1 ص 2 ط دار الفكر بيروت تحقيق على محمد البخارى
(9) المجموع ج 3 ص 282
(10) المغنى ج 2 ص 30
(11) الفتح ج 2 ص 276 رقم 756 ومسلم ج 4 ص 76 رقم 394

مناقشة :-

نوقشت أدلة أصحاب هذا المذهب كحديث عبادة وغيره من الأحاديث التى تنفى الصلاة التى لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب أن النفى نفى كمال لا نفى صحة والمعنى لا صلاة كاملة .

((أجيب عن هذه المناقشة أن هذا خلاف الحقيقة وخلاف الظاهر والسابق الى الفهم فلا يقبل)) (1) ((وإذا ورد النفي فانه يحمل أولا على نفى الصحة فان امتنع فانه يحمل على نفى الكمال)) (2)

ولا مانع من حمله على نفى الصحة .

الراجح :-

الراجح هو ما ذهب إليه أصحاب المذهب الثاني القائلون بوجوب قراءة الفاتحة وأنها تتعين فى الصلاة فى كل ركعة وإنما رجحنا هذا لقوة أدلة أصحاب هذا المذهب وضعف أدلة المخالفين فقد تم ردها ومناقشتها والله أعلم بالصواب .

---

(1) المجموع ج 3 ص 274

(2) الشرح الممتع على زاد المستقنع / لأبن العثيمين ج 3 ص 82-83 مؤسسة أسام الرياض 1416هـ - 1995م .

المطلب الثاني

هل تلزم المأموم قراءة الفاتحة

وفيه فرعان

الفرع الأول :- حكم قراءة المأموم للفاتحة فى الصلاة السرية .

الفرع الثاني :- حكم قراءة المأموم للفاتحة فى الصلاة الجهرية .

الفرع الأول

حكم قراءة المأموم للفاتحة فى الصلاة السرية

((تجب قراءة الفاتحة على الإمام والمنفرد والمأموم فى الصلاة السرية أو الجهرية التى لا يسمع فيها قراءة الإمام فهذه الحالات لا يسمع فيها قراءة فلا معنى لسكوته من غير استماع)) (1)

الفرع الثاني

حكم قراءة المأموم للفاتحة فى الصلاة الجهرية

اختلف الفقهاء هل يجب على المأموم أن يقرا فاتحة الكتاب إذا كان يسمع قراءة إمامه فى الصلاة الجهرية على مذهبين .

المذهب الأول :لا تلزم المأموم قراءة الفاتحة وقراءة الإمام له قراءة (2) والى ذلك ذهب أحمد (3) وأبو حنيفة ومالك (4) ومن وافقهم واستدلوا على ذلك بالكتاب والسنة .

1- **أما الكتاب** فبقول الله تعالى ((وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) (5)

قال أحمد أجمع الناس على أن هذه الآية فى الصلاة) (6)

2- **أما السنة** : فبحديث أبى هريرة أن النبى قال ((مالي أنازع القران قال : فانتهى الناس

أن يقرأوا فيما جهر به النبى (7) ((وبحديث أبى هريرة أيضا قال : قال رسول الله ((إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا وإذا قرأ فأنصتوا)) (8) رواه مسلم وقوله ((من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة)) (9)

(1) شرح النووى ج 4 ص 83
(2) المغنى ج 2 ص 135
(3) الهداية ج 1 ص 338
(4) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير لشمس الدين محمد عرفة الدسوقي ج 1 ص 237 ط دار الحديث القاهرة
(5) الأعراف 204
(6) المغنى ج 2 ص 136
(7) المغنى ص 135 وبهامشه أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد وقال الألباني صحيح قلت واحتج به الألباني
فى كيفية صلاة النبى ص 53 ط المكتب الاسلامى الطبعة الخامسة
(8) مسلم بشرح النووى ج 4 ص 92 رقم 404
(9) صحيح الجامع الصغير للألباني ج 2 ص 1106 رقم 6487

مناقشـــــــــــــة :-

نوقشت أدلة أصحاب هذا المذهب بما يأتى :-

أولا ((الآية الأمر فيها بالإنصات عام فى جميع القران والأحاديث تخصص الآية بالفاتحة فانه لا يسكت عنها إذا قرأ إمامه)) (1)

((كما أن المستحب للإمام أن يسكت بعد الفاتحة قدر ما يقرأ المأموم الفاتحة وحينئذ لا يمنعه مانع أن يجمع بين الإنصات وقراءة الفاتحة فتكون الآية على ظاهرها فى هذه الحالة ودليل سكتة الإمام حديث ((سمرة قال كانت لرسول الله سكتتان سكته إذا قرأ بسم الله الرحمن الرحيم وسكته إذا فرغ من القراءة وأنكر ذلك عمران ابن حصين فكتبوا الى أبى بن كعب فكتب أن صدق سمرة)) (2) ومعنى سكته إذا قرأ بسم الله الرحمن الرحيم إذا أراد أن يقرأها لأن السكتة إنما هى قبل البسملة لا بعدها)) (3) هذا إذا ما سلمنا أن المراد بالآية حيث قرئ القرآن وإلا فقد روى النووى عن مجاهد وغيره أنها نزلت فى الخطبة وسميت قرآنا لاشتمالها عليه ففي سنن البيهقى عن أبى هريرة ومعاوية أنهما قالا : كان الناس يتكلمون فى الصلاة فنزلت هذه الآية)) (4)

ثانيا :- ((أجيب عن حديث أبى هريرة بما سبق فى الآية من أن الأحاديث خصصت ذلك بالفاتحة (5) أو أن المقصود فى حالة سكوت الإمام ليتمكن المأموم من القراءة أو أن المقصود السورة دون الفاتحة والوجه الراجح أن الحديث ضعيف لأن فى سنده بن أكيمة وهو مجهول قال البيهقى ابن اكيمة مجهول ولم يحدث عنه غير الزهرى ولم يكن عند الزهرى من معرفته أكثر من أن رآه يحدث عن سعيد بن المسيب . واتفق الحفاظ من المتقدمين والمتأخرين على أن هذه الزيادة وهى

قوله (فانتهى الناس عن القراءة مع رسول الله فيما جهر فيه) ليست من كلام أبى هريرة بل هى من كلام الزهرى مدرجه فى الحديث قال ذلك الأوزاعى ومحمد ابن يحيى الذهلى شيخ البخارى)) (6)

قلت : هذا الحديث ضعفه البيهقى وصححه الألباني فاختلف فى صحته وضعفه فينبغي أن ينظر فى الأدلة الأخرى وان كان الجوابان الأولان عن هذا الحديث يرجحان مذهب من ترك العمل به .

---

(1) الشرح الممتع ج 3 ص 407
(2) حديث سمرة أخرجه الدار قطنى وقال كلهم ثقات والبيهقى والحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبى انظر المجموع
وهامشه ص 297 ج 3
(3) المرجع السابق ج 3 ص 316
(4) المرجع السابق ص 316- 317
(5) الشرح الممتع ج 3 ص 87 - 88
(6) المجموع ج 3 ص 317
(7) المجموع ج 3 ص 311

ثالثا : -((أجيب عن الحديث الثاني وفيه (وإذا قرأ فأنصتوا) بالوجهين السابقين فى الآية والوجه الثالث : أن هذه اللفظة(وإذا قرأ فأنصتوا) ليست بمحفوظة واختاره البيهقى ويحي ابن معين وغيرهما)) (1) ((وأما نحن فلا نقول فيما رواه الثقة أنه خطأ إلا ببرهان واضح ولكن نجيب بالوجهين السابقين لا سيما وقد روى مسلم هذا الحديث)) (2)

رابعا : أجيب عن حديث ((من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة)) (3) بالوجهين السابقين فى الآية وقد ذكر ابن[4] كثير أن فى سنده ضعفاً ولكن تخصيصه بالفاتحة أولى من تضعيفه حيث صححه الألبانى.

وبالجملة : فقد ورددت بعض الأحاديث الأخرى الضعيفة التى لا تقوم بها حجة كقوله فى حديث أبى الدرداء ((ما أرى الإمام إذا أم القوم إلا قد كفاهم)) قال البيهقى غلط فيه أبو صالح كاتب الليث وكان أبوالدرداء يرى القراءة خلف الإمام . (5)

((وكحديث جابر عن النبى (من صلى صلاة لم يقرا فيها بفاتحة الكتاب فهى خداج إلا أن يكون وراء الإمام) (6) أخرجه البيهقى من طريق يحيى بن سلام وقال يحيى ضعيف والصواب أنه موقوف على جابر وحديث (الإمام ضامن) أعله البيهقى

بالانقطاع بين الأعمش وأبى صالح)) (7) ((فهذه الأحاديث إما ساقطة وإما مرسلة وإما من رواية جابر الجعفى الكذاب وإما عن مجهول ولو صحت كلها لكان قوله ((لا تفعلوا إلا بأم الكتاب) كافيا فى تأليف جميعها)) (8)

قلت : ومتى أمكن الجمع بين النصوص تعين الجمع بدلا من تعطيل بعض النصوص فتخصص هذه الأحاديث بالفاتحة جمعا بين الأدلة .

المذهب الثاني :

تجب قراءة الفاتحة على المأموم فى السرية والجهرية واليه ذهب الشافعي (9) ومن وافقه كالليث والأوزاعى وأبى ثور (10)

واستدلوا بما يأتى : -

أولا : بعموم قول النبى ((لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)) (11) متفق عليه.

ثانيا : بما رواه عبادة بن الصامت قال كنا خلف رسول الله فى صلاة الفجر فثقلت عيه القراءة

(1) المرجع السابق نفسه ج 3 ص 311
(2) المحلى بالأثار لأبن حزم ج 2 ص 272 ط دار الفكر بيروت
(3) سبق تخريجه ص 16
(4) تفسير ابن كثير ج 1 ص 12
(5) المجموع ص 314 وهامشه
(6 ؛ 7) المرجع السابق نفسه ص 314
(8) المحلى ج 2 ص 273
(9) المجموع ج 3 ص 310
(10) المغنى ج 2 ص 136 .
(11) سبق تخريجه ص 14

فلما فرغ قال :لعلكم تقرؤون خلف إمامكم قلنا نعم هذّا يا رسول الله قال لا تفعلوا إلا أن يقرأ أحدكم بفاتحة الكتاب فانه لا صلاة لمن لم يقرأ بها)) (1)((قال النووى رحمه الله هذا الحديث رواه أبو داود والترمذي وغيرهم وقال الترمذي حديث حسن وصححه البيهقى وقال الدار قطنى إسناده حسن وقال الخاطبى إسناده جيد لا مطعن فيه فان قيل هذا الحديث من رواية محمد ابن إسحاق بن سيار عن مكحول وحمد ابن إسحاق مدلس والمدلس إذا قال عن لا يحتج به فالجواب أن الدار قطنى والبيهقى رواياه باسنادهما عن أبى إسحاق قال حدثني مكحول بهذا فذكرة قال الدار قطنى فى هذا الإسناد إسناد حسن وقد علم من قاعدة المحدثين أن المدلس إذا روى حديثه من طريقين قال فى أحدهما عن وفى الأخر حدثنى أو أخبرني كان الطريقان صحيحين وحكم باتصال الحديث وقد

حصل هنا وقد رواه البيهقى برواية (لا يقرأن أحد منكم إذا جهرت بالقراءة إلا بأم القرآن) قال البيهقى عقب هذه الرواية والحديث صحيح عن عبادة ابن الصامت عن النبى وله شواهد واحتج بحديث أبى هريرة فى صحيح مسلم أن النبى قال : (من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القران فهى خداج فقيل لأبى هريرة انا نكون وراء الإمام فقال اقرأ بها فى نفسك فاني سمعت رسول الله يقول قال الله تعالى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى .....) (2) الحديث)) (3)

وقال ابن العثيمين رحمه الله بعدما أورد حديث عبادة بن الصامت قال ((وهذا الحديث رواه أهل السنن وهو نص فى محل النزاع فيكون فاصلاً فى مسألة القراءة خلف الإمام فى الصلاة الجهرية وأدلة المانعين تخصص بالفاتحة)) (4) .

مناقشة :-

(5)

يمكن لأصحاب المذهب الأول أن يقولوا ان حديث عبادة ضعفه بعضهم وان صح فهو منسوخ بحديث أبى هريرة وفيه (فانتهى الناس عن القراءة فيما جهر به النبى) (6)

ويمكن لأصحاب المذهب الثاني أن يجيبوا بأن وجه تضعيف هذا الحديث أجاب عنه النووى وغيره . وأما القول بالنسخ فهو مردود لأن فى النسخ تعطيل لأحد النصين وما دام يمكن الجمع بينهما فالجمع أولى ووجه الجمع أن انتهاء الناس عن القراءة خلف النبى فى حالة الجهر كان فى السورة دون الفاتحة (7) فيكون عاما خصصه حديث عبادة لا سيما وقد روى مسلم عن أبى هريرة قوله للسائل اقرأ بها فى نفسك أي خلف الإمام فى الإمام فى الجهرية وقد أوردنا قول النووى أن المحدثين اتفقوا أن كلمة(فانتهى الناس)

(1) قال الألبانى رواه البخارى فى جزئه وأحمد وحسنه الترمذي والدار قطنى وجعله الألبانى رحمه الله دليلا لجواز
القراءة خلف الإمام ثم ذكر حديث أبى هريرة فانتهى الناس .. وقال نسخ الثاني الأول فدل قوله هذا على أن الأول
صحيح يحتج به ولا نوافقه على النسخ كما سنبينه انظر ص 53 كيفية صلاة النبى
(2) رواه مسلم ج 4 ص 77 رقم 395
(3) المجموع ج 3 ص 315
(4) الشرح الممتع ج 3 ص 407
(5) القول بالنسخ للألباني انظر كيفية صلاة النبى ص 53
(6) الجواب أشير إليه بهامش 3 فى نفس الصفحة
(7) أنظر ص 17

ليست من كلام أبى هريرة بل هى من كلام الزهري فدرجه فى الحديث ؛ قلت : إذا سكت الإمام سكته بعد الفاتحة وهى السنة (1) فإن المأموم سيتمكن من قراءة الفاتحة دون أن يقرأ فيما جهر به الإمام .

الراجح :-

من نظر فى أدلة المذهبين والمناقشات التى وردت عليها يتبين له أن الراجح هو ما ذهب إليه أصحاب المذهب الثاني القائلون بوجوب قراءة الفاتحة خلف الإمام فى الجهرية كما هو الحال فى الصلاة السرية وإنما كان هذا القول هو الراجح عندنا لقوة ما استدل به أصحاب هذا المذهب وضعف ما استدل به المخالفون فقد تم رده ومناقشته وأخذاً بالأحوط وخروجا من الخلاف بيقين وهذا ما ذهب إليه العالمان الفاضلان والشيخان الجليلان ابن باز وابن العثيمين رحم الله الجميع والله تعالى أعلم .

المطلب الثالث

(هل البسملة أية من الفاتحة)

((قال النووى رحمه الله : اعلم أن مسألة البسملة عظيمة مهمة ينبنى عليها صحة الصلاة التى هى أعظم الأركان بعد التوحيد ولهذا المحل الأعلى الذي ذكرته من وصفها اعتنى العلماء من المتقدمين والمتأخرين بشأنها وأكثروا التصنيف فيها مفردة)) (2)

اتفق المسلمون على أن البسملة جزء من أية فى سورة النمل واختلفوا هل البسملة أية من الفاتحة على مذهبين .

المذهب الأول (3) :- البسملة ليست أية من الفاتحة واليه ذهب أحمد فى رواية عنه ومالك وأبوحنيفه واستدلوا أولا : بحديث أبى هريرة قال : سمعت النبى يقول : قال الله تعالى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين .....)) (4) فلو كانت البسملة أية لبدأ بها ولو كانت أية لم يتحقق التنصيف لأن آيات الثناء تكون أربعا ونصفا وآيات الدعاء تكون اثنتين ونصفا وعلى ما ذكر من عدم عد البسملة يتحقق التنصيف)) (5)

---

(1) انظر حديث سمرة ص 17

(2) المجموع ج 3 ص 280

(3) المغنى ج 2 ص 33

(4) سبق تخريجه ص 7

(5) المغنى ج 2 ص 33 – 34

ثانيا :- ((بحديث أبى هريرة أن رسول الله قال : إن من القران سورة ثلاثون أية شفعت لقارئها ألا وهى تبارك الذي بيده الملك) (1) وهى ثلاثون أية سوى بسم الله الرحمن الرحيم وأجمع الناس أن سورة الكوثر ثلاث آيات بدون بسم الله الرحمن الرحيم وحديث عائشة فى مبدأ الوحي (ان جبريل أتى النبى فقال : اقرأ باسم ربك الذي خلق) ولم يذكر البسملة فى أولها) (2) متفق عليه)) (3) .

ثالثا :- ((أن البسملة لو كانت قرانا لم يختلف فيها ولكان إنكارها كفرا)) (4) .

رابعا)) إن القران إنما يثبت بالتواتر وليس بالظن)) (5) .

خامسا :- أن أهل المدينة مجموعون على ترك البسملة فى الصلاة وافتتاحهم الصلاة بالحمد لله رب العالمين

مناقشـــــــــــــة :-

نوقشت أدلة أصحاب هذا المذهب بما يأتى :-

أولا : ((أجيب عن حديث أبى هريرة وفيه ((فإذا قال العبد الحمد لله .....)) بوجوه **منها** أن يقال معناه فإذا انتهى العبد فى قراءته الى الحمد لله رب العالمين وحينئذ تكون البسملة داخلة فى تلك الكلمة **ومنها** أن يكون هذا الحديث قبل نزول البسملة فان النبي كان ينزل عليه الآية فيقول ضعوها فى مكان كذا)) (6) **ومنها** قد تكون نزلت مرتين مرة بالبسملة ومرة بدونها وبذلك يجمع بين النصوص جميعا ويرد على من يكفر بإثبات أو نفى البسملة من القران وهذا ما ذكره فضيلة الشيخ أبوبكر الجزائرى عند رده على شبه التكفير فى أمر البسملة إثباتا ونفيا وقد أوردنا قولا لأبن كثير فى نزولها مرتين و يقول الإمام السخاوى فى هذا الأمر أمر تكرار النزول بعد أن حكى نزول الفاتحة مرتين ((فان قيل فما فائدة نزولها مرتين

قلت : يجوز أن تكون نزلت أول مرة على حرف واحد ثم نزلت فى المرة الثانية ببقية حروفها نحو ملك ومالك والصراط والسراط ومن فوائد تكرار النزول التذكير والموعظة ومن فوائده كذلك الاهتمام بشأن الآيات التى كرر نزولها)) (7)

وأما قولهم لو كانت البسملة أية لم يتحقق التنصيف فالجواب ((أنه ليس المراد حقيقة التنصيف ولكن المراد أن الفاتحة قسمان فأولها لله وأخرها للعبـــــــد

(1) أخرجه الترمذى وأبو داود وابن ماجه والنسائى وأحمد وصححه الحاكم ووافقه الذهبى انظر المغنى ج 2 ص 34 والمجموع
ج 3ص 281
(2) مسلم ج 2 ص 349 رقم 160 باب بدئ الوحي
(3) انظر المغنى ج 2 ص 34 والمجموع ج 3 ص 281
(4) أحكام القراء لأبن العربى ج 1 ص 2
(5) بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع للكاسانى ج 1 ص 303 ط دار الفكر بيروت الطبعة الأولى 1417هـ - 1996م
(6) المجموع ج 3 ص 285
(7) الإتقان فى علوم القران للسيوطى ج 1 ص 15 ط دار الفكر بيروت الطبعة الأولى 1420هـ - 1999م

أو يقال المراد بالتنصيف قسمان الثناء والدعاء من غير اعتبار لعدد الآيات .
أو يقال ان التنصيف على ظاهره ولكنه باعتبار الحروف والكلمات وليس باعتبار الآيات وعند ذلك يكون التقسيم مع عد البسملة أقرب من التقسيم مع عدم عدها)) (1)

ثانيها :- أجيب عن حديث سورة الملك والعلق فى مبدأ الوحى وقولهم سورة الكوثر ثلاث آيات بدون البسملة بأن هذه نصوص فى غير محل النزاع لأن كلامنا فى عد البسملة من سورة الفاتحة أما عدها من باقى السور فأمر يطول البحث فيه وليس فى هذا المختصر اتساع لتناوله بل لا نسلم أن ما ذكروه دليل على أنها ليست من القران ((بل قد يكون الحديث قبل نزول البسملة فى السورة أو يكون الجواب عن سورة الملك بأن شفاعتها فيما سوى البسملة لأنها غير مختصة بها)) (2) ((وعن سورة الكوثر بأن رسول الله قرأها لما نزلت عليه فقال بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر)) (3) وان كان الجواب الأول كافيا .

ثالثا :- ((أجيب عن قولهم بأنها لو كانت قرانا لما اختلف فيها ولكفر منكرها بأن يقلب القول عليهم فيقال ولو لم تكن قرانا لكفر مثبتها قال محمد ابن الحسن أجمعت الأمة على أنه لا يكفر من أثبتها ولا من نفاها لاختلاف العلماء فيها)) (4) ((والإنكار لا يكون كفرا إلا بما ثبت قطعا بالنص والإجماع وكان من أبواب العقائد)) (5) والبسملة ظنية لا قطعية لوجود الخلاف فيها .

رابعا :- ((أجيب عن قولهم إن القران يثبت بالتواتر وليس بالظن بأن إثباتها فى المصحف فى معنى التواتر وأن التواتر يشترط فيما يثبت قرانا على سبيل القطع

وأما ما يثبت قرانا على سبيل الحكم فيكفى فيه الظن والبسملة قران على سبيل الحكم)) (6) .

خامسا)) أجيب عن قولهم إن أهل المدينة مجموعون على ترك البسملة فى الصلاة وافتتاحها بالحمد لله رب العالمين . بأن الخلاف واقع بين أهل المدينة فى ذلك من الصحابة ومن بعدهم فعن أنس ابن مالك أن معاوية قدم المدينة فصلى بهم فلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ولم يكبر إذا خفض وإذا رفع فناداه المهاجرون حين سلم والأنصار أن يا معاوية سرقت صلاتك أين بسم الله الرحمن الرحيم وأين التكبير فصلى بهم صلاة أخرى فقال ذلك فيها الذي عابوا عليه)) (7) فأى إجماع يدعون قال ابن عبد البر ((الخلاف فى المسألة موجود قديما وحديثا وقال ولم يختلف أهل مكة أن البسملة أول أية من الفاتحة ولو ثبت إجماع أهل المدينة لم يكن حجة مع وجود الخلاف لغيرهم)) (8)

(1) المجموع ج 3 ص 286 (2) المجموع ص 286 – 187
(3) صحيح مسلم بشرح النووى ج 4 ص 85 رقم 400 (4) المجموع ج 3 ص 281 -287
(5) أحكام القران لابن العربي ج 1 ص 3 قلت قد يكفر من أنكر مجمعا عليه فى غير العقائد كوجوب الصلاة والزكاة وحرمة الخمر والزنى (6) المجموع ج 3 ص 285 – 284
(7) أخرجه البيهقى ج 2/49 والشافعى فى الأم ج 1/108 والدار قطنى ج 1/311 والحاكم ج 1/233 وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه انظر المجموع وهامشه ج 3 ص 287 (8) المجموع ج 3 ص 287 – 288

المذهب الثاني

أن البسملة أية من الفاتحة ولا تجزئ الصلاة بدونها واليه ذهب الشافعي [1] وأحمد [2] فى رواية عنه وابن المبارك وإسحاق واستدلوا بما يأتى :-

1- ((بما رواه أبو هريرة أن النبى قال : إذا قرأتم الحمد لله رب العالمين فاقرءوا بسم الله الرحمن الرحيم فإنها أم الكتاب وإنها السبع المثانى وبسم الله الرحمن الرحيم أية منها)) (3) (4) رواه الدار قطنى . وفى رواية وبسم الله الرحمن الرحيم إحداها))
2- ((عن أنس (رضى) أنه سئل عن قراءة النبى فقال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم)) (5) رواه البخارى
3- ((عن أم سلمه أن النبى قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فعدها أية والحمد لله رب العالمين آيتين .....)) (6) وفى رواية أنها ذكرت قراءة رسول الله بسم

الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين

يقطع قراءته أية أية)) (7)

4- أن الصحابة أثبتوها فى المصاحف بخطها ولم يثبتوا بين الدفتين سوى القران .

مناقشـــــــــــة :-

نوقشت أدلة أصحاب هذا المذهب بما يأتى :-

أولا :- ((حديث أبى هريرة موقوف عليه فانه من رواية أبى بكر الحنفى عن عبدالحميد بن جعفر عن نوح بن **أبى بلال قال أبوبكر: راجعت فيه نوحا فوقفه وهذا يدل على أن رفعه كان وهما من عبدالحميد)) (8)**

وأجيب عن هذه المناقشة بأن الألباني رحمه الله أورد هذا الحديث فى السلسلة الصحيحة وقال معلقا عليه ((صحيح مرفوعا وموقوفا)) (9)

ثانيا ((حديث أم سلمة هو من رأيها أو تكون أية مفرده بين السور)) (10) ويمكن أن يجاب عن هذا بأن أم سلمه حكت ونقلت ما سمعته من النبى ولم تنقل أو تقل شيئا لم يحدث بل حصل وكان وإذا كان هذا هو فهمها لحال النبى فهذا حجة للمستدلين به فليس معنى أنه فهمها أنه خطأ بل كونه صواب هو غالب الظن إذ لو كان الحال يحتمل أكثر من فهم لبينه النبى

---

(1) المجموع ج 3 ص 280 (2) المغنى ج 2 ص 33 (3) المرجع السابق ج 2 ص 33

(4) صححه الألباني فى السلسلة الصحيحة ج 3 ص 179 رقم 1183

(5) باب فضائل القران رقم 5045 ؛ 5046 والفتح ص 708

(6) أخرجه ابن خزيمه 493 وقال النووى صحيح انظر المجموع ج 3 ص 278 – 279

(7) صححه الألباني فى صحيح سنن أبى داود ج 2 ص 756 رقم 3379 وصحيح الترمذى رقم 3107 ط مكتب التربية العربي الرياض علق عليه زهير الشاويش الطبعة الأولى 1409 هـ – 1989 م

(8) المغنى ج 2 ص 34

(9) الحديث سبق تخريجه ص 23

(10) المغنى ج 2 ص 34

ثالثا :- ((حديث أنس يخالف ما روى عنه فى الصحيحين أنه صلى وراء النبى وأبى بكر وعمر وعثمان فكانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين)) (1) وفى مسلم فى الرواية الثانية ((فلم أسمع أحد منهم يقرا بسم الله الرحمن الرحيم)) ((وأجيب عن هذا أن معنى الرواية الأولى المتفق عليها فى البخارى ومسلم معناها كانوا يفتتحون القراءة فى الصلاة بسورة الحمد لله رب العالمين وهذا متعين للجمع بين الروايات وأما الرواية الثانية لمسلم فلم أسمع .....)) فهي

رواية للفظ الأول بالمعنى الذي فهمه الراوي عبر عنه على قدر فهمه فأخطأ ولو بلغ الحديث بلفظه لأصاب فان اللفظ الأول هو ما اتفق عليه الحفاظ ولم يخرج البخارى والترمذي وأبو داود غيره)) (2)

قلت : ولا يلزم من حديث أنس فى الصحيحين أنهم كانوا لا يقرأون بسم الله الرحمن الرحيم بل ولو أخذ الحديث على ظاهره فلا يفهم منه سوى أنهم كانوا يسرون بالبسملة لئلا تتعارض الأحاديث الصحيحة .

رابعا :- ((إثبات البسملة فى المصحف للفصل بين السور وقيل للتبرك بالبدء بها)) (3)

أجيب عن هذا من أوجه :-

الأول :- ((أن فى هذا تغريرا لا يجوز ارتكابه لمجرد الفصل وكان يمكن الفصل بتراجم السور .

الثاني:- أنه لو كان لمجرد الفصل لكتبت بين براءة والأنفال .

الثالث :- ((أنها لو كانت للفصل لما حسن كتابتها فى أول الفاتحة وأما قولهم للتبرك فيجاب عليه بالوجهين الأولين ويزاد أنها لو كانت للتبرك لاكتفى بها فى أول المصحف)) (4)

الراجـــــــــــح

الراجح فى هذه المسألة هو كون الفاتحة سبع آيات وبسم الله الرحمن الرحيم إحداها بنص الأحاديث الصحيحة فى ذلك ولقوة الأدلة الأخرى التى استدل بها أصحاب هذا المذهب وضعف أدلة المخالفين فقد تم ردها ومناقشتها

- والله تعالى أعلم –

---

(1) الفتح ج 2 رقم 740 ومسلم ص 84 رقم 399

(2) المجموع ج 3 ص 297 – 298

(3) المغنى ج 2 ص 34

(4) المجموع ج 3 ص 282

المطلب الرابع

هل يجهر بالبسملة أم يسر بها

اختلف الفقهاء فى مسألة الجهر والإسرار بالبسملة على مذهبين وقال أصحاب كلا المذهبين أن مذهبه قال به أكثر أهل العلم (1)

المذهب الأول :-

لا يجهر بها وهو مذهب أحمد (2) وأصحاب الرأي (3) وأما مالك فعنده لا يقرأها لحديث أنس ولأن أهل المدينة لم يقرءوها (4)

واستدل أصحاب هذا المذهب بما يأتى :-

1- ((حديث أنس ابن مالك أنه قال صليت مع رسول الله وأبى بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحدا منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم . وفى البخارى ((فكانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين)) (5) فلم يذكر أنه جهر بالبسملة .

2- ((حديث عائشة كان رسول الله يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين)) (6) رواه مسلم فلم يذكر جهرا بالبسملة .

3- ((حديث أبى هريرة سمعت رسول الله يقول قال الله تعالى : قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى : حمدني عبدي .....)) (7) فلم يذكر البسملة ولا الجهر بها .

4- ((عبد الله بن المغفل قال سمعنى أبى وأنا أقول بسم الله الرحمن الرحيم فقال أي بنى محدث إياك والحدث قال : ولم أر واحدا من أصحاب النبى كان أبغض إليه الحدث فى الإسلام – يعنى منه – فاني صليت مع النبى وأبى بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحدا منهم يقولها فلا تقلها : إذا صليت فقل : الحمد لله رب العالمين)) (8) أحرجه الترمذى وقال حديث حسن)) (9)

5- ((أن التسمية متى ترددت بين أن تكون من الفاتحة وبين ألا تكون تردد الجهر بها بين السنة والبدعة لأنها إذا لم تكن منها التحقت بالأذكار والجهر بالأذكار بدعة والفعل إذا تردد بين السنة والبدعة تغلب جهة البدعة لأن الامتناع عن البدعة فرض ولا فرضية فى تحصيل السنة)) (10)

(1) المغنى ج 2 ص 32 والمجموع ج 3ص 288 (2) المغنى ج 2ص 32

(3) البدائع ج 1ص 303
(4) أحكام القرآن لابن العربى ج 1ص 3 والمغنى ج 2 ص 30
(5) سبق تخريجة ص 24
(6) مسلم بشرح النووى ج 4 ص 159 رقم 498 (7) سبق تخريجه ص 7
(8) أخرجه الترمذى ج 2 ص 244 وقال الالبانى : ضعيف أنظر المغنى وهامشه ج 2 ص 31
(9)الادله الاربعه المغنى ج 2 ص 31 -32 (10) البدائع ج 1ص 303

مناقشة :-

نوقشت أدلة أصحاب هذا المذهب بما يأتى :

1. ((حديث أنس وعائشة المراد منهما أنهم كانوا يفتتحون الصلاة بسورة الحمد الله رب العالمين وان الرواية التى فيها (فلم أسمع أحداً منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم) فهذه الرواية لفظ بالمعنى الأول كما سبق)) (1)
2. ((أجيب عن الحديث القدسي وراويه أبو هريرة وفيه (قسمت الصلاة) بوجوه منها أن يكون المعنى فإذا انتهى الى قوله الحمد لله (فتكون البسملة داخله ومنها أن يكون الحديث قبل نزول البسملة كما سبق)) (2)
3. ((حديث ابن عبدا لله ابن المغفل اعترض عليه بأنه حديث ضعيف لأن ابن عبدا لله ابن المغفل مجهول قال ابن خزامه هذا الحديث ليس صحيح من جهة النقل وقال ابن عبدا لبر لا تقوم به حجه فهو لا يقوى على معارضة الأحاديث الصحيحة)) (3)
4. أجيب عن قولهم أن الجهر بالبسملة تردد بين السنة والبدعة فيترك . أن التردد يكون عند الذين لم يثبت لديهم دليلُ قوى يرجح أن البسملة من الفاتحة وقد أوردنا الحديث الصحيح وفيه وبسم الله الرحمن الرحيم أحدها) وغيرها من الأدلة على ثبوتها من الفاتحة فبهذه الادله أصبح الأمر لا تردد فيه بين السنه والبدعة بل من ثبتت عنده الادله فانه يعتقد أن البسملة أية من الفاتحة ويدين لله بذلك وإنما التردد عند من لم يثبت عنده دليل ((قال النووي قول البعض أنها بدعه لا حجه فيه لأنه يخبر عن اعتقاده ومذهبه كما قال أبو حنيفة العقيقية بدعة وصلاة الاستسقاء بدعة وهما سنة عند جماهير العلماء للأحاديث الصحيحة فيها) (4)

قلت : ولو كانت هذه الأحاديث عن أنس وعائشة وأبى هريرة على ظاهرها وكان حديث ابن عبدا لله ابن المغفل صحيحاً كان معناها أن هؤلاء الصحابة لم يسمعوا النبى يجهر بالبسملة بل كل ما عهدوه وسمعوه وعرفوه هو الإصرار بها وليس معنى رواياتهم أن ما نقله غيرهم دليلاً عن الجهر باطلاً أو غير صحيح

ويمكن أن يستدل فى هذه المسألة بالقاعدة الأصولية (عدم النقل ليس دليلاً على نقل العدم) فعدم نقل هؤلاء الصحابة الجهر ليس دليلاًعلى أنه لم يجهر والعلم عند الله .

---

(1) انظر ص 24

(2) أنظر ص 21

(3) المجموع ج 3 ص 301

(4) المجموع ج 3 ص 302

المذهب الثاني :- (1)

يستحب الجهر بالبسملة واليه ذهب الشافعية

واستدلوا على ذلك بما يأتى :-

1- ((ما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال : فى كل صلاة قراءة فما أسمعنا النبى أسمعناكم وما أخفى منا أخفيناه منكم)) (2) ثم قد ثبت عن أبى هريرة أنه كان يجهر فى صلاته بالبسملة فعن نعيم بن عبد الله المجمر قال ((صليت وراء أبى هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بأم الكتاب حتى إذا بلغ ولا الضالين قال أمين وقال الناس أمين ويقول كلما سجد الله أكبر وإذا قام من الجلوس من الاثنين قال : الله أكبر ثم يقول إذا سلم والذي نفسي بيده انى لأشبهكم صلاة برسول الله)) (3) ((يقول النووى رواه النسائي فى سننه وابن خزيمة فى صحيحة قال ابن خزيمه فى مصنفة فأما الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فى الصلاة فقد صح وثبت عن النبى بإسناد ثابت متصل لاشك ولا ارتياب عند أهل المعرفة بالأخبار فى صحة سنده واتصاله فذكر هذا الحديث ثم قال : فقد بان أن النبى كان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وأخرجه أبوحاتم وابن حبان فى صحيحة والدارقطنى فى سننه وقال : هذا حديث صحيح كلهم ثقات ورواه الحاكم فى المستدرك على الصحيح وقال هذا الحديث صحيح على شرط البخارى ومسلم واعتمد عليه أبوبكر الخطيب فى أول كتابه الذي صنفه فى الجهر بالبسملة فى الصلاة فرواه من وجوه متعددة مرضية ثم قال هذا الحديث ثابت صحيح لا يتوجه عليه تعليل فى اتصاله وثقة رجاله)) (4)

2- ((حديث ام سلمه قالت : كان رسول الله يقطع قراءته بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين)) (5)

3- ((ما رواه البخارى عن قتادة قال : سئل أنس كيف كانت قراءة رسول الله قال : كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم)) (6) قال الحافظ أبوبكر محمد بن موسى الحازمى هذا حديث صحيح وفيه دلالة على الجهر مطلقا يتناول الصلاة وغيرها لأن قراءة رسول الله لو اختلفت فى الجهر بين حالتي الصلاة وغيرها لبينها أنس ولما أطلق جوابه)) (7)

---

(1) المجموع ج 3 ص 288
(2) صحيح مسلم بشرح النووى ج 4 ص 80 رقم 396
(3) المجموع ج 3 ص 295
(3) ؛ (4) أخرجه ابن خزيمة 499 النسائى 2/134 وابن حبان رقم (1801) والبيهقى ج 2/58 والحاكم 1/232 وقال
صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى المجموع ج 3 ص 291 – 292
(5) سبق تخريجه ص 23
(6) البخارى باب فضائل القران رقم 5045 ؛ 5046 ج 8 ص 708
(7) المجموع ج 3 ص 295

مناقشة :-

أولا :- نوقش حديث أبى هريرة الذي رواه أبونعيم بأنه يعارض ما رواه أبو هريرة فى الحديث القدسي الصحيح الذى رواه مسلم وهو أصح . وأجيب عن هذا بما قاله الشيخ أبومحمد المقدسى بأنه لا عزر لمن يترك صريح هذه الأحاديث عن أبى هريرة ويعتمد رواية حديث ((قسمت الصلاة)) ويحمله على ترك البسملة مطلقا أو الإسرار بها وليس فى الحديث تصريح بشئ منهما والجميع رواية صحابي واحد فالتوفيق بين رواياته أولى من اعتقاد اختلافها مع أن الحديث الذى رواه الدار قطنى فيه ((ذكر البسملة)) وهو بعينه حديث قسمت الصلاة فوجب حمل الحديثين على ما صرح به فى أحدهما)) (1)

ثانيا :- نوقش حديث أنس بأنه يعارض ما ورد فى الصحيحين عن أنس فى ترك البسملة .

وأجيب بأن أنس فى هذا الحديث وصف قراءة النبى والحديث فى البخارى وفى حديث معاوية روى إنكار الصحابة على من ترك البسملة (2) فأنس فى هذه

الأحاديث لم يقتدى فى جهره بها (البسملة) إلا برسول الله ففي الصحيحين عنه ((انى لا الو أن أصلى بكم كما رأيت رسول الله يصلى بنا)) (3))) (4)

فائدة :-

يمكن أن يوفق بين أحاديث أنس التى ظاهرها التعارض بوجوه منها :

1- أن نرجح بعض ألفاظ هذه الروايات المختلفة على باقيها ونرد ما خالفها إليها فلا نجد الرجحان إلا للرواية التى على لفظ حديث عائشة ((أنهم كانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين)) ونؤوله بالسورة وهذه طريقة الإمام الشافعي ومن تبعه فكأن أنسا أخرج هذا الكلام مستدلا به على من يجوز قراءة غير الفاتحة)) (5)

2- ما رجحه الإمام ابن خزيمة وهى رد جميع الروايات الى معنى أنهم كانوا يسرون بالبسملة دون تركها وقد ثبت الجهر بها بالأحاديث السابقة عن أنس وكان أنسا بالغ فى الرد على من أنكر الإسرار بها فقال أنا صليت خلف النبى وخلفائه فرأيتهم يسرون بها أى وقع ذلك منهم مرات لبيان الجواز ولم يرد الدوام بدليل ما ثبت عنه فى الجهر رواية وفعلا فتكون أحاديث أنس قد دلت على جواز الأمرين ووقوعهما من النبى وهما الجهر والإسرار)) (6)

---

(1) المجموع ج 3 ص 293 (2) سبق تخريجه ص 22

(3) مسلم بشرح النووى ج 4 ص 141 رقم 472

(4) المجموع ج 3 ص 296

(5) المجموع ج 3 ص 299

(6) المجموع ج 3 ص 299

الراجح :-

من تأمل فى أدلة أصحاب المذهب الأول وجدها تفيد أن النبى كان غالب حاله أن يسر بالبسملة حتى ظن بعض أصحابه أنه لم يجهر بها قط لأنه لم يعهد عليه ولم يسمعه منه .

ومن تأمل فى أدلة المذهب الثاني وجدها تفيد أن النبى ثبت عنه الجهر بالبسملة فى الصلاة

لذلك فان الراجح أن يقال ورد عن النبى الإسرار وكان غالب حاله وورد عنه كذلك الجهر بها والتوفيق بين النصوص والأخذ بها جميعا أولى من تعطيل أحدها والحكم ببطلانه وعلى ما رجحناه نكون قد أخذنا بجميع النصوص ووفقنا بينها وأصبنا السنة إذا أسررنا وإذا جهرنا وفى الجميع خير

وقد حدث لى أكثر من مرة أن أنكر على أحد العوام كون البسملة أية من الفاتحة فلما سألته عن سبب إنكاره قال لم أسمع أحدا يقرأها فى صلاته فقلت فى نفسى لو اقتدينا بما ورد عن النبي من الجهر والإسرار جميعا لكان فى ذلك فائدتان : الأولى عملنا بسنة من سنن النبى وهو الجهر والإسرار جميعا والثانية أن يعلم الجاهل ويتعلم أنها أية فلا يتركها ولا يتمادى فى نسيانها والا فان البعض يتركها بالكلية تقليدا وجهلا .

المطلب الخامس

أخطاء فى الفاتحة تبطل بها الصلاة

قراءة الفاتحة ركن من أركان الصلاة يتعين الإتيان بها وهذا مذهب الجمهور[1] ولذلك فان من ترك منها حرفا تبطل صلاته وكذا إن غير اللفظ فتغير المعنى عامدا متعمدا تبطل صلاته ((فلو ترك تشديده الباء فى قوله ((رب العالمين)) لم يصح لأن الحرف المشدد بحرفين فنقص أحدهما أو ترك أل فى قوله ((غير المغضوب عليهم وهذا يقع كثيرا من اللذين يدغمون بسبب إسراعهم فى القراءة لم تصح فلو فعل من ذلك شيئا فأعاد اللفظ الذى أخطأ فيه فلا شئ عليه والا لم تصح .

ويجهر الإمام والمأموم بأمين والمنفرد مخير بين الأمرين فى الصلاة الجهرية وفى السرية يسر ؛ قال **الفقهاء :** فان شدد الميم بطلت صلاته لأن معناها حينئذ قاصدين فيكون أتى بكلام من جنس كلام المخلوقين وأما عن وقت النطق بأمين فكما يلى .

يقول الإمام أمين إذا انتهى من قوله ولا الضالين . يقول المنفرد أمين إذا انتهى من قوله ولا الضالين .

يقول المأموم أمين إذا قال الإمام ولا الضالين لقول النبى ((إذا قال الإمام ولا الضالين فأمنوا)) (2) وعليه يكون قوله ((إذا أمن الإمام فأمنوا)) (3) أى إذا شرع فى التأمين فأمنوا ويلزم الجاهل بالفاتحة أن يتعلمها ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب فان عجز عن الفاتحة فبما تيسر من القران فان عجز

فالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والحوقلة)) (4)

(1) انظر ص 14 (2) الفتح ج 2 ص 311 رقم 782
(3) الفتح ج 2 ص 306 رقم 780
(4) الشرح الممتع لأبن العثيمين ج 3 ص 96

المبحث الرابع

القراءة الواردة فى سورة الفاتحة

وفيه ثلاثة مطالب :-

المطلب الأول : مذاهب القراء فى الاستعاذة .

المطلب الثاني : مذاهب القراء فى البسملة .

المطلب الثالث : الكلمات التى اختلفت فيها مذاهب القراء .

تمهيد

نزول القران على سبعة أحرف هو نوع من أنواع اليسر والتخفيف عن هذه الأمة لاختلاف لهجات العرب وتنوعها فنزل القران بلغة العرب فعن ابن عباس أن رسول الله قال ((أقرأني جبريل عليه السلام على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده فيزدنى حتى انتهى الى سبعة أحرف)) (1)

وفى رواية ((فرددت إليه أن هون على أمتي فرد الى الثالثة اقرأه على سبعة أحرف)) (2)

المطلب الأول (3)

مذاهب القراء فى الاستعاذة

الفرع الأول :- الجهر والإخفاء فى الاستعاذة عند القراء .

الفرع الثاني :- معنى الاستعاذة .

الفرع الثالث :- حكم الاستعاذة .

الفرع الرابع :- محل الاستعاذة .

الفرع الخامس :- فوائد الاستعاذة .

---

(1) ؛ (2) صحيح مسلم ج 6 ص 429 رقم 819 – 820

(3) هذا المطلب ذكرته إتماما للفائدة والا فليست الاستعاذة من الفاتحة .

الفرع الأول

الجهر والإخفاء فى الاستعاذة عند القراء

((روى عن نافع وحمزة أنهما يخفيان الاستعاذة فى جميع القران ولكن المختار فى ذلك التفصيل فيستحب إخفاؤها فى مواطن والجهر بها فى مواطن . ومواطن الإخفاء كما يلي :-

1- إذا كان القارئ يقرا سرا سواء منفردا أو فى مجلس
2- إذا كان القارئ خاليا سواء أسر أم جهر .
3- إذا كان القارئ فى الصلاة سواء سرية أو جهرية .
4- إذا كان القارئ فى جماعة يتدارسون القران ولم يكن هو المبتدئ .

وما عدا هذه المواطن يستحب الجهر بها)) (1)

الفرع الثاني

معنى الاستعاذة

((الاستعاذة من العوذ أو التعوذ يقال عاذ به عوذا وعياذا : التجأ إليه واعتصم به وتقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : أى أعتصم بالله منه . ويقال تعوذ به : أى لجأ إليه واعتصم واستعاذ به أى تعوذ)) (2) ((ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : أى أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرني فى ديني أو دنياى أو يصدني عن فعل ما أمرت به أو يغوينى بفعل ما نهيت عنه فان الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله . ولهذا أمر تعالى بمصانعة شيطان الإنس ومداراته بإسداء الجميل إليه ليرده طبعه عما هو فيه من الأذى وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن لأنه لا يقبل رشوة ولا يؤثر فيه جميل لأنه شرير بالطبع ولا يكفه عنك إلا الذى خلقه فقال تعالى فى شيطان الإنس (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) (3)

وقال فى شيطان الجن (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم) (4)

وقد فرق العلماء بين العياذة واللياذ فقالوا الأولى تكون لدفع الشر والثانية تكون لطلب جلب الخير كما قال المتنبي

يا من ألوذ به فيما أؤملـــــــــــه ؛ ومن أعوذ به ممن أحاذره

لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ؛ ولا يهيضون عظما أنت جابره)) (5)

((أما الشيطان فهو من شطن : أى بعد لأنه بعيد عن كل خير ويقال تشيطن أى صار كالشيطان أو فعل فعله والشيطان : روح شرير مغو وكل متمرد فاسد شيطان)) (6)

(1) البدور الزاهرة فى القرارات العشرة المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة . تأليف الشيخ / عبد الفتاح القاضي ص 12 ط الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة خاصة بالمعاهد الأزهرية 1414هـ - 1995م

(2) المعجم الوسيط ص 666 مجلد واحد الجزء الأول والثاني الطبعة الثانية 1392هـ - 1972م مجمع اللغة العربية

(3) ؛ (4) الأعراف 199 – 200

(5) صحيح مختصر ابن كثير ج 1 ص 26 (6) الوسيط ص 508

((أما الرجيم فهو من رجمه رجما أى لعنه وطرده وهجره فهو مرجوم ورجيم)) (1)

((فالشيطان بعيد بطبعة عن طباع البشر وبعيد بفسقه عن كل خير وهو رجيم فعيل بمعنى مفعول أى مرجوم مطرود من الخير كله)) (2)

قلت : فى الأمر بالاستعاذة عند قراءة القران فائدة ألا وهى أن العبد لن ينتفع بهذا القران إلا بعون الله له وعصمته من الشيطان فلو خلى الله بين الشيطان وبين العبد لأهلكه الشيطان ولربما ألقى الشيطان فى روع العبد شيئا إبان قراءته من الشبهات فيكون من الذين لا يزيدهم القران إلا خسارا وصدق القائل

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجنى عليه اجتهاده

الفرع الثالث

حكم الاستعاذة

((اتفق العلماء على أن الاستعاذة مطلوبة من مريد القراءة واختلفوا بعد ذلك هل الطلب للندب أم للوجوب فالجمهور على أن الأمر للندب وبعضهم على أنه للوجوب ورأى الجمهور أقرب للصحة حكى الإجماع عليه ابن جرير وغيره من الأئمة وظاهر الآية الأمر بالاستعاذة عند القراءة فى الصلاة لعموم الآية فى ذلك قال تعالى (فإذا قرأت القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم)(3))) (4)

((فان قيل الأصل فى الأمر أنه للوجوب فلم اخترتم الندب . قلنا صرف الأمر الى الندب لقرينة وهى عدم ملازمة النبى للاستعاذة فدل على أنه للاستحباب)) (5)

الفرع الرابع

محل الاستعاذة

((اختلف العلماء فى محل الاستعاذة على ثلاثة أقوال

القول الأول :- **يتعوذ بعد القراءة واعتمد على ظاهر سياق الآية وقالو فائدة ذلك دفع الإعجاب بعد فراغ العبادة**

القول الثاني :- أن الاستعاذة إنما تكون قبل التلاوة لدفع الموسوس عنها ومعنى الآية على هذا القول [فإذا قرأت القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم] أى إذا أردت أن تقرأ كقوله تعالى [إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم .....] أى إذا أردتم القيام والدليل على ذلك حديث أبى سعيد الخدرى قال : كان رسول الله إذا قام من الليل فاستفتح صلاته وكبر قال ((سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك **وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يقول لا اله إلا الله – ثلاثا – ثم يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان**الرجيم من همزه ونفخه ونفثه)) (6)

(1) الوسيط ص 357 (2) صحيح مختصر ابن كثير ج 1 ص 26- 27
(3) النحل 98
(4) أضواء البيان فى تفسير القران بالقران تأليف محمد الأمين الشنقيطى ج 2 ص 191 ط دار إحياء التراث العربي
بيروت الطبعة الأولى 1417هـ - 1996م
(5) محاضرات الشيخ الجزائرى فى تفسير الفاتحة
(6) صحيح . صححه الألباني فى صحيح سنن أبى داود ج 1 ص 148 رقم 701
قال عمر همزه الموت ونفخه الكبر ونفثه الشعر .

القول الثالث :- يستعيذ أولا وأخرا جمعا بين الدليلين)) (1)

قلت : وقد جعل الشيخ أبوبكر الجزائرى هذا القول الأخر وجها للجمع بين القولين وقال لا حرج فيه .

((والاستعاذة فى الصلاة تكون قبل البسملة وشرعت للتلاوة وليست للصلاة إذا لو كانت للصلاة لكانت تلي تكبيرة الإحرام ويسر بها ولا يجهر)) (2)

الفرع الخامس

فوائد الاستعاذة

قال ابن كثير ((من لطائف الاستعاذة أنها طهارة للفم مما يتعاطاه من اللغو والرفث وبها يطيب الفم لتلاوة القران وهى استعانة بالله واعتراف له بالقدرة وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو المبين الذى لا يقدر على دفعه إلا الله الذي خلقه)) (3)

ومما هو معلوم أنه على قدر صدق العبد وفقده فى طلب العوذ من الله يكون العوز من الله فإذا استعاذة بقلب ساه لاه هائم فى أودية الدنيا كان عوذ الله له على قدر ذلك فى قلبه ومتى اعترف لله بالقدرة والجبروت والملك والملكوت وشاهد عجز نفسه وضعفها وسأل الله العوذ من الشيطان أجابه ربه وأعاذه فانه يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء وهو الهادي إلى سواء السبيل .

المطلب الثاني

مذاهب القراء فى البسملة

((أجمع القراء العشرة على الإتيان بالبسملة عند الابتداء بأول السورة إلا براءة فلا خلاف فى ترك البسملة عند الابتداء بها أما عن البسملة بين السورتين فقد ذهب قالون وابن كثير وعاصم والكسائى وأبوجعفر الى الفصل بين كل سورتين بالبسملة . وذهب حمزة وخلف العاشر الى وصل أخر السورة بأول التى تليها بدون بسملة .

وذهب ورش وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب الى البسملة كقالون أو السكت أو الوصل : والمراد بالسكت الوقف على أخر السورة الأولى وقفه لطيف من غير تنفس والمراد بالوصل وصل أخر السورة الأولى بأول التى تليها ولا بسملة مع السكت ولا مع الوصل .)) (4)

---

(1) الأقوال الثلاثة من صحيح مختصر ابن كثير ج 1 ص 24 – 25
(2) الشرح الممتع ج 3 ص 71
(3) تفسير ابن كثير ج 1 ص 15
(4) البدور الزاهرة ص 14

فائدة مهمة

((يجوز لكل من فصل بين السورتين بالبسملة كقراءة حفص عن عاصم – ثلاثة أوجه –

الوجه الأول :-

قطع الجميع - وهو قطع أخر السورة الأولى عن البسملة وقطع البسملة عن أول السورة الثانية .

الوجه الثاني :-

وصل الجميع – وهو وصل أخر السورة الأولى بالبسملة ووصل البسملة بأول السورة الثانية .

الوجه الثالث :-

قطع الأول ووصل الثاني بالثالث وهو قطع أخر السورة الأولى ثم وصل البسملة بأول السورة الثانية

الوجه الرابع :-

وهو ممتنع وهو وصل الأول بالثاني وقطع الثالث أى وصل أخر السورة الأولى بالبسملة ثم قطع أول السورة الثانية وهذا الوجه ممتنع لأنك إذا وصلت أخر السورة بالبسملة ووقفت يوهم ذلك أن البسملة هى أخر أية فى السورة الأولى .)) (1)

((وأجمع القراء على أن الوقف على بسم وقف ناقص قبيح وأن الوقف على بسم الله وقف كاف صحيح وأن الوقف على بسم الله الرحمن الرحيم وقف تام)) (2)

المطلب الثالث

الكلمات التى اختلفت فيها مذاهب القراء

((قوله تعالى ((مالك يوم الدين)) قرأ عاصم والكسائى ويعقوب وخلف بإثبات ألف بعد الميم ((مالك)) وقرأ الباقون وهم – حمزة وأبو عمرو وأبوجعفر وابن عامر وابن كثير ونافع – بحذف الألف (ملك) .

قوله تعالى ((اهدنا الصراط المستقيم – صراط -)) قرأ قنبل ورويس بالسين فى الصراط المعرفة والمنكرة حيث وقعت وقرأ خلف عن حمزة بالصاد المشمة أى يدخل فيها صوت الزاى أى الاشمام حيث وقعت فهى صاد غير خالصة . وقرأ خلاد مثل خلف فى الموضع الأول فقط وهو الصراط ثم قرأ بالصاد الخالصة فى باقى القران . وقرا الباقون بالصاد الخالصة فى جميع القران .

قوله تعالى ((غير المغضوب عليهم))

قرأ ابن كثير وأبوجعفر وقالون بالخلاف عنه لفظ عليهم بضم الميم مع وصلها بواو لفظا لا خطا وقرأ حمزة ويعقوب بضم الهاء وصلا ووقفا وقرأ الباقون بكسر الهاء وصلا ووقفا)) (3)

قلت : جميع ما سبق من قراءات صحيحة ومتواترة وهى إما من السبع المذكورة فى الشاطبية للإمام

الشاطبى أو الثلاثة المذكورة فى الدرة المضيئة المكملة للعشرة للإمام ابن الجزرى

والله تعالى أعلم .

(1) المرجع السابق ص 15

(2) التفسير الكبير لأبى بكر الرازى ج 1 ص 91 ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى 1411هـ - 1990م –
16 مجلد -
(3) البدور الزاهرة ص 16

المبحث الخامس

إعراب سورة الفاتحة (1)

قوله تعالى ((**بسم الله الرحمن الرحيم**))

((بسم :- جار ومجرور فى محل رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديرة بسم الله أقرأ أو أتلو)) (2)((وقلنا بأن المتعلق فعل لأن الأفعال هى الأصل فى العمل)) (3) وقيل المبتدأ المحذوف تقديره ابتدائي .

الله :- لفظ الجلاله مضاف إليه .

الرحمن :- صفة أولى مجرورة بالكسرة الظاهرة .

الرحيم :- صفة ثانية مجرورة بالكسرة الظاهرة ويجوز أن تتعدد الصفة كقول الشاعر

الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة فى المزدحم

قوله تعالى (**الحمد لله رب العالمين**)

الحمد :- مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمه الظاهرة .

لله :- جار ومجرور فى محل رفع خبر أو متعلق بمحذوف خبر مرفوع .

رب :- صفة مجرورة وعلامة الجر الكسرة الظاهرة .

العالمين :- مضاف إليه مجرور وعلامة جره الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم – واحده عالم –

قوله تعالى (**الرحمن الرحيم**)

الرحمن :- صفة ثانية بعد رب العالمين .

الرحيم :- صفة ثالثة بعد الرحمن .

قوله تعالى (**مالك يوم الدين**)

مالك :- صفة رابعة مجرورة أيضا وإسكان الكاف لحن يقع فيه كثير من الناس .

يوم :- مضاف إليه مجرور وعلامة جرة الكسرة الظاهرة .

الدين :- مضاف إليه مجرور وعلامة جرة الكسرة الظاهرة .

(1) هذا المبحث الأصل فيه ما نقلته عن فضيلة الشيخ / حسن سالم زويل رحمه الله الموجه العام بالأزهر سابقا وقد نقلته عنه مشافهة وتدريسا .
(2) انظر الكشاف لأبى القاسم الزمخشرى تحقيق محمد الصادق القمحاوى ط مكتبة ابن تيمية مصطفى البابى وأولاده سنة 1392 هـ - 1972م ج 1 ص 26
(3) الشرح الممتع ج 1 ص 3

قوله تعالى (**إياك نعبد وإياك نستعين**)

إياك :- ضمير نصب منفصل – مفعول به مقدم لنعبد والتقديم هنا يفيد الحصر .

نعبد :- فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعة الضمة والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن .

وإياك نستعين :- الواو عاطفة للجملة على سابقتها والباقي كما سبق .

قوله تعالى (**اهدنا الصراط المستقيم**)

اهدنا :- فعل أمر غرضه الدعاء مبنى على حذف الياء وكسر أخره دليل عليه .

الصراط :- مفعول به ثان والمفعول الأول الضمير فى اهدنا والفاعل مستتر تقديره أنت .

المستقيم :- صفة منصوبة وعلامة النصب الفتحة الظاهرة .

قوله (**صراط اللذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين**)

صراط :- بدل منصوب من قوله (الصراط) .

اللذين :- اسم موصول مبنى على الفتح فى محل جر بالإضافة .
أنعمت :- فعل والتاء فاعل والجملة لا محل لها من الإعراب – صلة الموصول –
عليهم :- جار ومجرور متعلق بأنعمت
غير : صفة مجرورة للذين
المغضوب : مضاف اليه مجرور بالكسرة واسم مفعول يعمل عمل فعله .

عليهم : جار ومجرور نائب فاعل للمغضوب حيث ان هذه الكلمة اسم مفعول مقترن بالألف واللام

فيعمل عمل فعله المبنى للمجهول .

ولا :- الواو حرف عطف ؛ ولا زائدة لتأكيد النفى .

الضالين :- معطوف على المغضوب – مجرور بالياء نيابة عن الكسرة لأنه جمع مذكر سالم .

أمين :- اسم فعل أمر غرضه الدعاء بمعنى استجب – مبنى على السكون لا محل له من الإعراب ((وليست من الفاتحة)) (1)

---

(1) أيسر التفاسير لفضيلة الشيخ / أبوبكر الجزائرى ج 1 ص 17 ط مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة الطبعة الأولى 1451 هـ - 1994م وبهامشها نهر الخير على أيسر التفاسير .

الفصـــــــــــــل الثاني

العطور الفائحة

فى

تفسير سورة الفاتحة

وفيه ثمانية مباحث

المبحث الأول :- معنى كلمة (سورة)

المبحث الثاني :- تفسير قوله (بسم الله الرحمن الرحيم)

المبحث الثالث :- تفسير قوله (الحمد لله رب العالمين)

المبحث الرابع :- تفسير قوله (الرحمن الرحيم)

المبحث الخامس :- تفسير قوله (مالك يوم الدين)

المبحث السادس :- تفسير قوله (إياك نعبد وإياك نستعين)

المبحث السابع :- تفسير قوله (اهدنا الصراط المستقيم صراط اللذين أنعمت عليهم)

المبحث الثامن :- معنى قولنا أمين .

تمهيد

نرى معا بإذن الله فى تفسير الفاتحة أنواع البلاغة والفصاحة وأشكال التربية والإصلاح وكثرة العلوم والمعارف مما يجعل على قارئ تفسير الفاتحة أن يكون حاضر القلب خالي الذهن مشتاقا لأن يغترف من نهر الفاتحة فانه مقدم على تفسير أم القران وتفسير القران بل وتفسير الكتب المنزلة جميعا قال الحسن البصري (إن الله أودع علوم الكتب السابقة القران ثم أودع علوم القران الفاتحة فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة) (1) أخرجه البيهقى

فيا فتى الأمجاد ارفع راية الأول & وسر الى الله بجد لا هـــــــــــزل

وان شعرت بنقص فيك تعرفه & فغذى روحك بالقران واكتمـــــــــل

وحارب النفس وامنعها غوايتها & فالنفس تهوى الذى يدعوا الى الزلل

---

(1) الإتقان ج 2 ص 522 وذكره الشنقيطى فى أضواء البيان ج 2 ص 181

المبحث الأول

معنى كلمة (سورة)

((السورة من البناء ما طال وحسن والسورة واحدة سور القران .

والسورة المنزلة الرفيعة والفضل والشرف والعلامة وتجمع على سور)) (1)

((فكأن القارئ ينتقل بها ويرتفع من منزله الى منزلة وقيل لشرفها وارتفاعها كسور البلدان ويحتمل أن يكون من الجمع والاحاطة لآياتها كما يسمى سور البلد لأحاطته بمنازله ودوره وقيل سميت سورة لكونها قطعة من القران وجزءا منه مأخوذ من اسار الإناء وهو البقية وعلى هذا يكون أصلها مهموزا وجمع سورة سور بفتح الواو وقد يجمع على سورات وسوارات)) (2)((ويمكن تعريفها شرعاً بأنها قطعة من كتاب الله تشتمل على ثلاث آيات فأكثر)) (3)

المبحث الثاني

قوله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم)

وفيه ثلاث مطالب

المطلب الأول :- معنى كلمتى (اسم – الله) وإشتقاقيهما

المطلب الثاني :- معنى بسم الله

المطلب الثالث :- معنى الرحمن الرحيم والحكمة من الوصف بهما

المطلب الأول

معنى كلمتى (اسم – الله) وإشتقاقيهما

((الاسم قيل من السمو وهو العلو والارتفاع وقيل من وسم الشئ فهو موسوم بالخير والشر أى مميز به والسمة العلامة))(4)

((فكان الاسم علامة للمسمى وكأن من سمى فقد علا شأنه وأما الباء فهى حرف معنى وجاءت للإستعانة نحو كتبت بالقلم وموضعها النصب)) (5)

---

(1) المعجم الوسيط ص 487

(2) تفسير بن كثير ج 1 ص 7

(3) أيسر التفاسير ج 1 ص 9

(4) المعجم الوسيط ص 478-1075

(5) البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى ج 1 ص 14 الطبعة الثانية 1398هـ -1978 م ط دار الفكر بيروت 8 مجلدات

((أما لفظ الجلالة الله فهو علم على الإله المعبود بحق أصله إله دخلت عليه أل ثم حذفت همزته وأدغم اللامان وأصل كلمة إله من الفعل أله إلاهة وألوهة وألوهية أي عبد وأله ألها إذا تحير وأله إليه لجأ والإله كل ما اتخذ معبوداً ويقال لاه ليهاً : إذا تستر وعلا وارتفع)) (1) ((وقال الخليل وسيبويه ان الألف واللام فيه لازمه إلا ترى أنك تقول يا الله ولا تقول يا الرحمن ولولا أنهما من أصل الكلمة لما جاز إدخال يا على الألف واللام)) (2)((وقال الكسائى والفراء هو مشتق وعليه فسوف تتعدد معانيه بتعدد معنى الإله فهو الذى يسكن إليه العبد ويفزع (3) إليه) ويتحير فيه الفكر والعقل الآن العبد لا يحيط به علم))(4) وقيل أصله من أله الفصيل أى أولع بأمه))(5)

قلت : لا تعارض بين هذا كله فالعباد لا يسكنون إلا الى ربهم وعند النوائب لا يفزعون إلا إليه والعقول والقلوب تحار فى التفكر فى عظمته سبحانه والعباد

مألوهه مولوعون بالتضرع إليه وقد ذكر العلماء (6) أن هذا الاسم (الله) لا يسمى به أحد إلا الله فلو سمى رجل ولده الله استتيب فإن تاب والا قتل

المطلب الثاني :

معاني (بسم الله)

معنى قول العبد بسم الله أى باسمه تعالى أقراء أو أتلو ومعناها من حيث كونها قرآناً وكلاماً من كلام الله - معناها إذن - باسم ربكم إقراؤ وباسمه ابداءو فى كل عمل فهو أمر من الله جاء بصيغة الخبر وتأمل تجد فى تلك الكلمة من أوجه البلاغة الكثير منها

أولاً: الإيجاز بالحذف وفى الحذف وفائدته بقول ابن القيم (هذا موطن لا ينبغى أن يتقدم فيه غير ذكر الله والفعل إذا حذف صح الابتداء بالبسملة فى كل عمل وقول وحركة فكان الحذف أعم)(7) ومنها حسن الافتتاح وبراعة المطلع (8)

---

(1) المعجم الوسيط ص 45-887

(2) تفسير بن كثير ج 1ص 19

(3) معالم التنزيل للبغوى ج 1ص 50 دار طيبة الرياض حققه محمد عبدالله النمر وعثمان جمعه وسليمان الحرش طبعة سنه 1409 هـ (4) زاد المسير ج 1ص 9 (5) تفسير ابن كثيرج 1 ص 20

(6) ذكره الشيخ أبوبكر الجزائرى فى محاضراته

(7) فتح المجيد تعليق ابن باز ص 10

(8) صفوة التفاسير محمد على الصابونى ط دار القرآن الكريم بيروت الطبعة الرابعة 1402 هـ-1981 م ج 1 ص 26

ومنها الحصر بتقديم الجار والمجرور وتأخير الفعل فيكون المعنى لا أبدأ إلا باسم الله ولا أبدأ باسم أحد سواه ومنها كون الفعل المقدر مضارعا يفيد التجدد والاستمرار)) (1)

فقوله تعالى (بسم الله) يعلم الله فيه عباده أن يبدءوا باسمه فى كل عمل لأن العمل الذى لا يبدأ باسم الله عمل أقطع أبتر ناقص كما روى ذلك عن النبى وإنما كان هذا العمل ناقصا لأن صاحبه لم يوف ما عليه من حق لأنه لما كان الله هو

خالق الخلق كلهم ومدبر شؤونهم ومصلح أحوالهم وهاديهم الى مصالح معايشهم كان من مقتضيات شكر العبد لربه ألا يبدأ إلا باسمه تعالى لأنه من بخسان الحق وكفران النعمة ألا تبدأ باسمه تعالى فضلا عن أن تبدأ باسم غيره يقول الشيخ أبوبكر الجزائرى (وقد اختلفت الأقوال فى نية البدأ باسمه تعالى فقال بعضهم أبدأ باسم الله متبركا بهذا البدء أى ليبارك الله فى العمل والسديد فى هذا أننى أبدأ باسمه مستأذنا فلو لم يأذن الله لنا فى قراءة كتابه أو أكل رزقه ما فعلنا ولما جاء عن النبى أنه كان اذا استيقظ من نومه يذكر الله ويقول الحمد لله الذى رد على روحي وعافانى فى جسدي وأذن لى فى ذكره)) (3)

قلت : لا تعارض بين ذلك فيبدأ العبد مستأذنا متبركا مستعينا فيجمع بين هذه النيات والمقاصد فى أن واحد أو يستشعر كل معنى منها فى مرة أو ركعة لتتجدد معاني البسملة فى قلبه ووجدانه . وقد يقول قائل لم جاءت الآية على هذا المنوال فقال الله سبحانه (بسم الله) ولم يقل بسم الغفور من أسماء الرحمة ولم يقل باسم العظيم من أسماء العظمة ولم يقل باسم المجيد من أسماء الجلال والكمال مثلا .

والجواب أن لفظ الجلالة (الله) يدل على كل صفات الرب من رحمة وعظمة وكمال وإطلاع وغنى وجبروت لأن هذا اللفظ علم على ذات الرب يدل على كل صفة اتصفت بها تلك الذات يقول الشيخ ابن العثيمين ((اسم الله علم على البارئ وهو الاسم الذى تتبعه جميع الأسماء حتى أنه فى قوله تعالى (العزيز الحميد – الله) (4) ويقول ان اسم الله صفة بل يقول عطف بيان لئلا يكون لفظ الجلالة تابعا)) (5) وهذا المعنى يتحقق أيضا على القول بأن اسم الله مشتق يقول ابن القيم رحمه الله ((فعلم أن اسم الله مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى دال عليها بالإجمال والأسماء الحسنى تفصيل لصفات الألوهية التى اشتق منها اسم الله)) (6)

قلت : فائدة ذلك كأن الله يريد من عبده عندما ينطق بالبسملة أن يكون مستشعرا ما ينطوي عليه هذا البدء الحكيم من تعبد لله فى هذا البدء بما تقتضيه هذه الصفات ويكون حاله حينئذ أبدأ باسم الله رجاء فى صفات رحمته وخوفا من صفات بطشه وانتقامه وافتقارا الى صفات غناه وعظمته ومراقبة له فى صفات اطلاعة ومراقبته .

(1) الشرح الممتع ج 1 ص 3 (2) قاله الجصاص فى أحكام القران ج 1 ص 24 ط دار الفكر بيروت 1993م – 1414هـ للإمام أبى بكر أحمد الرازي الجصاص توفى 370هـ راجعه صدقي محمد جميل
(3) محاضرات الشيخ الجزائري (4) سورة إبراهيم 1 ؛ 2 (5) الشرح الممتع ج 1 ص 3
(6)تهذيب مدارج السالكين / لأبن القيم اختصار محمد بيومى ص 33

المطلب الثالث

معاني (الرحمن الرحيم) والحكمة من الوصف بهما

قال ابن كثير((هما اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ورحمن أشد مبالغة من رحيم وفى كلام الطبري ما يفهم حكاية الاتفاق على ذلك والدليل علىذلك ما خرجه الترمذى وصححه عن عبدالرحمن بن عوف أن سمع رسول الله يقول قال الله تعالى (أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته) (1) وهذا نص فى الاشتقاق فلا معنى للمخالفة **والشقاق**)) (2) **وأما إذا أردنا أن نفصل فى معاني هذين الأسمين فلتبدأ بأولهما وهو اسم (الرحمن) .**

يقول الخطابي ((الرحمن ذو الرحمة الشاملة التى وسعت الخلق فى أرزاقهم ومصالحهم وعمت المؤمن والكافر)) (3)

قلت : الوصف بالرحمن وصف بالرحمة العامة فالله خلق الخلق ورزقهم وأصلح شأنهم وهداهم الى مصالح معاشهم وجعل لكل مخلوق من الأسباب ما يتقوى به لإصلاح نفسه فى هذه الدنيا فهذه رحمة وقد نالت المؤمن والكافر والإنسان والحيوان بل والإنس والجان فالحمد لله الرحمن .

وقد جاء فى الحديث الصحيح عن أبى هريرة عن رسول الله أنه قال (جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل فى الأرض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه) (4) رواه مسلم .

فائدة :- اسم الرحمن من الأسماء التى لا يسمى بها غير الله إلا أن تقول عبد الرحمن مثلا . قال ابن كثير ((ولما تجهرم مسيلمة الكذاب وتسمى برحمن اليمامة كساه الله جلباب الكذب فلا يقال الا مسيلمة الكذاب فصار يضرب به المثل فى الكذب بين أهل الحضر والوبر والمدر من أهل البادية والأعراب)) (5) أما اسم الرحيم فهو أخص من اسمه الرحمن فهو خاص برحمة المؤمنين دون الخلق أجمعين قال تعالى(وكان بالمؤمنين رحيما) (6)

((واسم الرحيم قد يوصف به غير الله كما قال تعالى فى حق نبينا محمد (بالمؤمنين رؤوف رحيم)(7) والحاصل أن من أسمائه تعالى ما يسمى به غيره ومنها ما لا يسمى به غيره كاسم ((الله – الخالق – الرازق – الرحمن)) فلهذا بدأ سبحانه باسم ((الله ووصفه بالرحمن أخص وأعرف من اسم الرحيم))(8)

قلت : إذا أردت الفائدة العملية من قضية أسماء الله وما يجوز الاتصاف والتسمي به وما لا يجوز فعليك بابن

---

(1)صحيح أخرجه أحمد ج 3/1659 انظر كتاب صحيح الأحاديث القدسية تأليف / أبو عبدالرحمن عصام الدين الصبابطى ص 283 رقم 417 ط دار الحديث القاهرة الطبعة السابعة 1419هـ - 1998 م

(2) تفسير ابن كثير ج 1 ص 20

(3) زاد المسير/ ج 1 ص 9 (4) مسلم بشرح النووى ج 17 ص 229 رقم 2752

(5) تفسير ابن كثير ج 1 ص 21 (6) الأحزاب 43

(7) التوبة 128 (8)تفسير ابن كثير ج 1 ص 21

بطال رحمه الله حيث يقول ((طريق العمل بأسماء الله أنه ما كان يسوغ الإقتداء به كالرحيم والكريم فيمرن العبد نفسه على الاتصاف بها وما كان يخص الله به نفسه كالجبار والعظيم فعلى العبد الإقرار بها والخضوع لها وعدم التحلي بصفة منها وما كان فيه معنى الوعد يقف فيه العبد عند الطمع والرغبة وما كان فيه معنى الوعيد يقف منه عند الخشية والرهبة .))(1)

فائدة :

قال ابن كثير ((وقد زعم بعضهم أن العرب لا تعرف الرحمن ولا الرحيم حتى رد الله عليهم ذلك بقــوله (قل ادعوا الله أو أدعو الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى)) (2) ولما قال رسول الله (لعلى يوم الحديبية اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا لا نعرف الرحمن ولا الرحيم) (3) والظاهر أن إنكارهم هذا إنما هو جحود وعناد وتعنت فى كفرهم فانه قد وجد فى أشعارهم فى الجاهلية تسمية الله بالرحمن قال ابن جرير وقد أنشد بعض الجاهلين الجهال .

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها & ألا قضب الرحمن ربى يمينها

وقال ابن جندب الطهوى :

عجلتم علينا اذ عجلنا عليكم & وما يشاء الرحمن يعقد ويطلق)) (4)

الحكمة من الوصف بالرحمن الرحيم :-

لك أيها القارئ الكريم أن تسأل إذا كان اسم (الله) قد اشتمل على معانى الأسماء الحسنى كلها ومنها معانى الرحمة والبر فلماذا وصف لفظ الجلالة (الله) بالرحمن الرحيم مع أنه يدل على صفة الرحمة بالجملة **والجواب** :- اعلم رحمنا الله وإياك أن لهذا الوصف ولهذا الإتباع فوائد وحكم

منها : أن يعلم العبد أن هذا الإله الذى تضمن اسمه (الله) معانى العظمة والقوة والرحمة والعدل قد[4] سبقت رحمته غضبه وفاق فضله عدله وغلب على صفاته وصف البر والإحسان فالعفو أحب اليه من الانتقام والمغفرة أرضى لنفسه من العقوبة لأنه رحمن رحيم .

ومنها أن يعلم العبد أن رسالة الله إليه (القرآن) إنما هو من أوله لآخرة رحمة لأن البدء يدل على فحوى الكلام إذا كان المتكلم عالما بأصول الكلام والفصاحة وليس أحدا أعلم باللغة من خالقها ومبدعها والقران نزل بلغة العرب وهذه عاداتهم فلا يبدؤون رسالة حرب بسلام والعكس . فلما بدأ الله كتابه بالبسملة وزيل البسملة بقوله الرحمن الرحيم دل ذلك على أن القران بحله وحرامه وحدوده وشرائعه ووعوده ووعيده رحمة للعالمين إذ اتبعوه قال تعالى فى وصفة (هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يوقنون) (5)

(1)معارج القبول شرح سلم الوصول للشيخ حافظ حكمى 1342هـ 1377هـ ج 1 ص 89 تحقيق سيد عمران وعلى محمد ط دار الحديث القاهرة 1420هـ 1999م مجلدين
(2) الإسراء 110 (3) رواه البخارى الفتح ج 5 ص 88 رقم 2731 ؛ 2732
(4) تفسير ابن كثير ج 1 ص 21
(5) رواه مسلم عن أبى هريرة بلفظ إن رحمتى تغلب غضبى ج 17 ص 228 رقم 2751
(6) الجاثية 20

ومنها وهى تابعة لما قبلها أنه ما دام هذا الإله رحمانا رحيما وما دام كتابه الذى هو مصدر شريعته اللأول رحمة فان علاقة العبد مع هذا الرب ((العبودية)) وتنفيذ أوامر هذا المصدر التشريعي ((التكاليف التشريعية)) كل هذا مبنى على قاعدة الرحمة ورفع الحرج فلا عسر ولا حرج ولا تغليظ قال تعالى (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) (1) وقال أيضا (لا يكلف الله نفسا إلا ما أتاها) (2)

فائدة :- إذا كان الله سبحانه وتعالى قد اتصف بكل هذه المعانى من الرحمة والبر والإحسان فلا يجدر بالعبد أن يكون هذا الإحسان وذاك البر مبرر له فى معصيته فان هذا من أكبر الجهل وأعظمه إذا لا يرضاه العبد لنفسه أن يكون إحسانه سبب فى مخالفة أمره وانتهاك حرماته فكيف يرضاه لربه وسيدة رب العالمين ((تلك إذا

قسمت ضيزى)) (3) بل أن رحمته داعية الى محبته تلك المحبة التى ان صدقت كانت أعظم رادع عن معصيته وأكبر داع الى طاعته فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان .

وخلاصة القول فى (بسم الله الرحمن الرحيم)

أن العبد يبدأ تلاوة كتاب ربه بسم الله فهو خالقه ورازقه وهاديه وليس للعبد أن يبدأ باسم أحد سواه فان فضله سبق كل فضل ونعمته فاقت كل نعمة مستشعرا ما فى هذا البدأ الحكيم من تعبد لله بمقتضى جميع أسمائه وصفاته التى دل عليه أسمه (الله) فيبدأ باسمه رجاءا لرحمته وخوفا من عقابه وافتقارا لغناه ومراقبة لإطلاعه عليه خاتما هذا البدء باسميه الرحمن الرحيم مطالعا ما ينطوي عليه هذا الختام من بر وإكرام اذ جعل سبحانه الرحمة قاعدة عبوديته وفحوى رسالته فكان أرحم بعبادة من الوالدة بولدها متذكرا سر ا غفل عنه كثيرا من أهل زماننا أن الله يريد منا أن نتعبد له بذلك البدأ فكأنه سبحانه يقول ابدءوا بـ (بسم الله الرحمن الرحيم)) فأنا أهل لكل ما دل عليه هذا البدء الحكيم فبسم الله الرحمن الرحيم .(4)

المبحث الثالث

تفسير قوله ((**الحمد لله رب العالمين**))

وفيه مطلبان

المطلب الأول :- قوله (الحمد لله)

المطلب الثاني :- قوله (رب العالمين)

المطلب الأول

قوله تعالى (الحمد لله)

وفيه ثلاثة فروع :

الفرع الأول :- معنى الحمد واشتقاقة

الفرع الثاني : أقوال المفسرين فى قوله (الحمد لله)

الفرع الثالث : الحكمة من اقتران لفظ الحمد باسم الجلاله (الله)

---

(1) البقرة 286 (2) الطلاق 7 (3) النجم 22 (4) رواه مسلم عن عمر ابن الخطاب ج 17 ص 230 رقم 2754

الفرع الأول

معنى الحمد واشتقاقه

((الحمد هو الثناء بالجميل وحمده حمدا أثنى عليه وحمد فلانا جزاه وقضى حقه وحمدل قال الحمد لله)) (1) فالحمد مصدر حمد والأصل فى المصدر ألا يجمع وحكى ابن الأعرابي جمعه على أحمد كأنه راعى ((فيه جمعه لأنواع المحامد قال :

وأبلج محمود الثناء خصصته & بأفضل أقوالي وأفضل أحمدى)) (2)

((ويمكن تعريف الحمد شرعا بأنه الوصف بالجميل والثناء به على المحمود ذى الفضائل والفواضل كما يحمد العبد ربه على لطفة ورحمته وإحسانه)) (3)

وقد اختلف العلماء أيهما أعم الحمد أم الشكر .

فقال بعضهم أنهما بمعنى واحد والتحقيق أن بينهما عموما وخصوصا فالحمد أعم من حيث إنه يكون فى السراء والضراء .

والشكر أخص من حيث إنه لا يكون الا فى النعمة والسراء .

والشكر أعم حيث يكون بالقلب واللسان والجوارح والحمد لا يكون الا بالقلب واللسان .

كقول القائل فى شكر النعمة

أفادتكم النعماء منى ثلاثة & يدى ولسانى والضمير المحجبا (4))) (5)

الفرع الثاني

أقوال المفسرين فى قوله ((الحمد لله))

يقول ابن كثير ((ومعنى الحمد لله : الشكر لله خالصا دون سائر ما يعبد من دونه بما أنعم على عباده من النعم التى لا يحصيها عدد ولا يحيط بعددها غيره أحد فى تصحيح الألات لطاعته وتمكين جوارح المكلفين لأداء فرائضة مع ما بسط لهم من الرزق وغذاهم به من نعيم العيش من غير استحقاق منهم لذلك عليه ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه من الأسباب المؤدية الى دوام الخلود فى دار المقام فى النعيم المقيم فلربنا الحمد على ذلك كله أولا وأخرا)) (6) واذا كان معنى الحمد أن تثنى علي الله وترضى بما قدره وقضاه فى السراء والضراء فى الشدة والرخاء فاعلم أن الله مستحق لهذا الحمد فى كل مكان وكل زمان يقول الشنقيطى رحمه الله

(1) المعجم الوسيط ص 217 – 218 (2) البحر المحيط ج 1 ص 18

(3) أيسر التفاسير ج 1 ص 12 (4) الموارى عن الأنظار (القلب)

(5) صحيح مختصر ابن كثير ج 1 ص 33

(6) تفسير ابن كثير ج 1 ص 22

((ذكر الله الحمد مطلقا وقيده فى مواضع أخرى بظرفين))

الأول : زماني فقال ((له الحمد فى الأولى والآخرة)) (1)

الثاني : مكاني فقال ((وله الحمد فى السموت والأرض)) (2))) (3) واذا علمت أن الله سبحانه وتعالى قد استحق هذا الحمد فى الدنيا والأخرة فى السماوات والأرض وتعبدت لله بمقتضى ذلك فحمدته على كل حال وفى كل مأل فاعلم أيضا أن فى الأية الكريمة من

أوجه البلاعة ما يزيدها عمقا فى المعنى مصحوبا بالروق والجمال :

الوجه الأول : ((أن الألف واللام فى كلمة الحمد للاستغراق وعليه فقد استغرقت كلمة الحمد جميع المحامد اللائقة به تعالى من حمد الملائكة والأنبياء والشهداء والصالحين والجن والطير وسائر الخلق من يوم خلق الله السماوات والأرض الى يوم القيامة قال تعالى (وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) فكأن العبد يحمد ربه بتلك المحامد كلها فهو سبحانه له الحمد كله وله الملك كله وبيده الخير كله

واليه يرجع الأمر كله .)) (4)

الوجه الثانى : أن اللام فى كلمة (لله) للاستحقاق وعليه فإفراد الله بكل تلك المحامد وهذا الثناء ليس الا حق له سبحانه وتعالى فهو أهل لأن يحمد ليل نهار فى السراء والضراء فى السماوات والأرض فى الدنيا والأخرة مستحق لذلك كله فالعبد فى حمده لله بهذه المحامد جميعا لم يأتى الا بما يستحقه ربه ويجب عليه لربه ((وما قدر الله حق قدره)) (5) .

الوجه الثالث : تلوين الخطاب حيث إن اللفظ خبرى والمعنى انشائى (أمر) على قول بعضهم (6) فمعناها حينئذ احمدوا الله هذا الحمد المطلق فان قيل لماذا جاء اللفظ خبريا والمعنى غير ذلك **قلنا** : ليعلم العبد أن أمر الله له بالحمد ليس معناه أن الله فى حاجة الى حمد عبده ليكون محمودا بل ان سياق الأية الخبرى يفهم أن الحمد قد تم لله وكمل فهو أمر قد تحقق لله والله يخبر عنه فهو سبحانه له الحمد قبل أن

يحمده الحامدون .

والفائدة الثانية : لتلوين الخطاب هى تحريك الذهن بتنويع المعانى فى الأية الكريمة

الوجه الرابع : مناسبة الأية لما قبلها (البسملة) غاية فى الإتقان وذلك أنه لما كانت البسملة تنبه العبد الى أثار رحمة الله عليه وبره إليه كانت هذه الرحمات لا يناسب قدرها الا حمد تلهج به القلوب قبل أن تلفظ به الألسنة ولن يعبر عن هذا الحمد مثل قوله تعالى ((الحمد لله)) يقول صاحب الظلال ((انها صلة الرحمة التى تستجيش الحمد والثناء فالحمد هو الاستجابة الفطرية للرحمة الندية)) (7) ويقول الشيخ أبو بكر الجزائرى منبها الى قوة المناسبة بين الحمد والنعمة التى هى من أثار الرحمة ((ينظر المسلم الى ماالله عليه من منن لا تحصى ونعم لا تعد اكتنفته من ساعة علوقه نطفة

(1) القصص 70 (2) الروم 18 (3) أضواء البيان ج 1 ص 47
(4) انظر صحيح مختصر ابن كثير ج 1 ص 33 – 34 (5) الزمر 67
(6) نهر الخير على أيسر التفاسير ج 1 ص 3 وتفسير ابن كثير ج 1 ص 25 وأحكام القران لأبن العربى ج 1 ص 4
(7) فى ظلال القران ج 1 ص 24

فى رحم أمه وتسايره الى أن يلقى ربه عز وجل فيشكر ربه بلسانه بأن يحمده ويثنى عليه بما هو أهله وبجوارحه بأن يسخرها فى طاعته فيكون هذا أدبا منه مع الله اذ ليس من الأدب فى شئ كفران النعم قال تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) (1))) (2)

الفرع الثالث

المناسبة بين لفظ الحمد ولفظ الجلالة - الله –

إن لفظ الحمد عندما اقترن باسمه تعالى – الله – دون غيرة من الأسماء **أفاد فائدتين** :

الأولى : أن كلا من اللفظين أعم من غيره فالحمد يكون فى السراء والضراء واسم الله يتضمن صفات الرحمة كما يتضمن صفات العدل وهذا الاقتران بين اللفظين ينبه العبد الى فائدة وهى أن الله مستحق لهذا الحمد سواء أعامل عبده بما تقتضيه صفات رحمته أو بما تقتضيه صفات عدله لأنه يعلم أن ربه لم يتكفل بأحواله الا ليصلحها فإذا اختار الله أمرا مكروه لعبده فهو ولله المثل الأعلى كاختيار الطبيب الحاذق مر الدواء ليجتجز به أصل الداء فما أعظمه من رب يبتلى عبده حتى يسير على الأرض وليس عليه خطيئة واستحق بذلك الحمد فى الضراء كما استحقه فى السراء والحمد لله رب العالمين .

الثانية : أن اقتران اللفظين يشير الى أن أعظم نعمة تستوجب الحمد هى تلك النعمة التى اشتق منها اسم الله أى الألوهية يقول الشعراوى رحمه الله ((إن الحمد لله تعنى حمد الألوهية ثم تقتضى بعد ذلك أن يكون الحمد للربوبية على إيجادنا من العدم ثم التفضل علينا بسائر النعم وعطاء الربوبية يشمل العاصى والمطيع والمؤمن والكافر أما الذين يدخلون فى عطاء الألوهية فهم المؤمنون)) (3)

قلت : ولن نعرف عظمة تلك النعمة - توحيد الألوهية - ونحمد الله عليها حق الحمد الا اذا تعرضنا لبعض معانى ومقتضيات وتصورات هذه الكلمة لنعرف قدر هذه النعمة التى أشار الله إليها فى استفتاح كتابه .

سبق لنا أن تكلمنا فى المطلب الأول من المبحث الثانى عن معانى كلمة الإله واشتقاقها ونعيد باختصار ليرتبط الموضوع بعضه ببعض . الألوهية مصدر من الفعل أله يقال ألهت الى فلان إذا سكنت إليه وأله الرجل يأله : إذا فزغ من أمر نزل به فألهه غيره أى أجاره وأله الفصيل الى أمه أى هرب طلبا للأمان والراحة وأله إلاهة : إذا عبد وأطاع ؛ وعليـــــــــــــــــــــه :

فالألوهية هى الملك والهيمنة التى يسكن ويهدأ أو يفزع إليها العبد (4) . يقول شيخ الإسلام رحمة الله ((والقلب فقير بالذل الى الله فهو لا يطيب ولا يفلح ولا يسر ولا يلتذ ولا يسكن ولا يطمئن الا بعبادة ربه وحبه والإنابة إليه ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن إذ فيه فقر ذاتى الى ربه من حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه)) (1) فقولنا لا اله الا الله معناه إذا :لا أسكن ولا أهدأ ولا أفزع ولا أعبد ولا أذل ولا أعترف بالملك والهيمنة والأمر والنهى والتشريع الا لله واذا كانت (لا) نافية للجنس معناها لا جنس اله متصف بذلك مستحق له الا الله فلا معبود بحق الا الله .

وهذا هو البون الشاسع بين جيل الصحابة الرعيل الأول وبين من أتى من بعدهم فالفرق هو فى مفهوم كلمة االتوحيد حيث كانت لا اله الا الله عندهم منهج حياة ؛

(1) النحل 53

(2) منهاج المسلم للشيخ أبى بكر الجزائرى ص 60 ط المكتبة التوفيقية الحسين الطبعة الأولى 1384هـ - 1964م

(3) تفسير القران للشيخ محمد متولي الشعراوى ج 1 ص 59 راجعه د/أحمد عمر هاشم ط دار أخبار اليوم سنة 1411هـ - 1991م 5 مجلدات (4) انظر المصطلحات الأربعة لأبى الأعلى المودودى ص 13 – 22 ط دار التراث العربى الحسين الطبعة الثانية 1406هـ - 1986م

وقد حرص النبى أن يمكن هذا الأمر من قلوبهم وهو انقطاع قلوبهم عن كل ما سوى الله فلا يؤله محبة لذاته الا الله ولا يؤله تعظيما لذاته الا الله ومن كمال تلك الإلهية ألا تكون هذه العبودية متوقفة على أحد حتى لو كان هذا الأحد هو رسول الله بل يؤله الله لذاته وصفاته ويعبد الله لله فلا تنقطع تلك الإلهية بانقطاع سبب أو غياب أحد بل هى دائمة بدوام الله تبارك وتعالى ومثال ذلك فى حياتنا تعلق القلوب فى طريقها الى الله بأشخاص ومواعظ ومواقف ومواسم للطاعات . نعم كل هذه الأمور لازمة من حيث كونها عونا للعبد فى طريقة الى الله لا أن يتوقف عليها تأليه العبد لربه وسيره الى مولاه وسعيه لأخراه . انظر الى هذا المعنى عندما انبثق من قولة أبى بكر الصديق ((أيها الناس من كان يعبد محمد فان محمد قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت)) فإذا ما حقق العبد تلك الإلهية وما تضمنته من معانى ومفاهيم استغنى عن الخلق بالخالق وكانت أشد لحظات حياته سعادة وأنسا عندما يخلوا بربه عن هذه الخلائق جمعاء وعندها يعلم أن الله قد أمتن عليه بنعمة ومنة لا يشار الى عظم شأنها بشئ مثل أن يحمد الرب نفسه عليها فى أفضل سورة يفتتح بها كتابه العزيز فلله الحمد أولا وأخرا . وقد أشار سبحانه وتعالى الى تلك النعمة متمثلة فى توحيد الله حيث ان التوحيد يكون بتحقيق لا اله الا الله وتحقيقها يكون بإفراد الله بهذه الألوهية وبعد الإشارة جاء بذكر الحمد مبينا ما قررناه منذ قليل من علاقة قوية بين الحمد والألوهية كنعمة تستحقة ان لم تكن أعظم نعمة لأن بها نجاة العبد من النار .

قال تعالى [ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون] (2)

يقول الشوكانى عند تفسير الحمد لله فى هذه الأية ((هذا الحمد تقرير لما قبلها من إيذان للموحدين بما فى توحيدهم لله من النعمة العظيمة المستحقة لتخصيص الحمد به)) (3)

فما أعظم التوحيد من نعمة وما أعظم الحمد من شكر لله على تلك النعمة اذا كان حمدا صادقا خالصا تاما

(1) رسالة العبودية لأبن تيمية ص 29 ط المطبعة السلفية الطبعة الرابعة 1400هـ - توفى 728 – ولد 661

(2)الزمر 29

(3) فتح القدير للشوكانى ج 4 ص 579

لأن الحمد إذا صح وكمل وتم كان عند الله خير من النعمة التى أنعم الله بها وكان كذلك للعبد الحامد .

قال رسول الله ((إن الله ليرضى من العبد أن يأكل الأكلة الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها)) (1) سبحانه ما أرحمه يعطى ويجود ويتعهد بالزيادة لمن أدى شكر نعمته فيقول ((وإذ تأذن ربكم لأن شكرتم لأزيدنكم .....)) (2)

وعن أنس أيضا قال قال رسول الله ((ما أنعم الله على عبد نعمة فقال : الحمد لله الا كان الذى أعطى أفضل مما أخذ)) (3)

ومعناه كما ذكره الشيخ أبوبكر الجزائرى((أن قوله الحمد لله باق له أجرة فى الآخرة والنعمة ستفنى وتزول لذا كانت الحمد لله أفضل من النعمة نفسها وقال القرطبى معنى الحديث أن الهام العبد الحمد لله أكبر فضلا ونعمة من نعم الدنيا لأن ثواب الحمد لا يفنى ونعيم الدنيا لا يبقى – ومما ورد فى فضل الحمد كذلك قول النبى ((الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان .....)) (4) (((5)

قلت والله خير القائل :

لو كنت أعلم فوق الحمد منزلة & أغلى من الحمد عند الله فى الثمن

إذن أرددها ربى مهذبة & حمدا على صنع ما أوليت من حسن

شبهة : سئل فضيلة الشيخ أبوبكر الجزائرى سؤالا مفاده أن الله تعهد بالزيادة لمن شكر ونحن نرى المسلمين فى قحط وتخلف عن ركب الأمم وهم يحمدون الله ويشكرونه ونرى الغرب الكافر فى نعيم ورقى وهم لا يشكرون نعمة الله – فرد فضيلته بقوله :-

((أقسم لكم بالله أن المسلمين الذين نتكلم عنهم ما شكروا الله فالشكر ألا تصرف نعمة الله الا فيما يحبه الله ويرضاه فلذلك ما نحن بشاكرين ولو شكر المسلمون ربهم ما كان الكفار الا تحتهم ودونهم والدليل هو سجل التاريخ فدولة الإسلام من لدن رسول الله ( )الى هارون الرشيد عاشت نعيما ورقيا لا يعلمه الا الله حتى كتب عامل المسلمين فى تونس الى خليفة المسلمين أننا لا نجد من

يأخذ الزكاة فأمره أن يشترى بها رقيقا ويعتقها وفى هذه الحقبة من الزمن كانت أوربا يأكلون الضفادع فيوم كفر المسلمون نعم الله عليهم حصل لهم ما حل بهم من الفقر والقحط والتخلف . أما زيادة الخير فى بلاد الكفر فليس هذا نتيجة كفرهم وعدم شكرهم

وإنما هو جزاء جدهم واجتهادهم وطلبهم للدنيا فوفاهم الله إياها ولم يمنعهم نتاج تعبهم وكسبهم

(1) رواه مسلم عن أنس ابن مالك ج 17 ص 214 رقم 2734

(2) إبراهيم 7

(3) صحيح صححه الألبانى فى صحيح الجامع ج 1 ص 975 رقم 5563

(4) رواه مسلم ج 3 ص 458 رقم 223

(5) محاضرات الشيخ الجزائرى

قال تعالى [من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ألئك ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون] (1)

وهذه سنة الله فى كونه أن من أكل شبع ولو كان كافرا ومن لم يأكل جاع ولو كان مؤمنا)) (2)

المطلب الثاني

((قوله رب العالمين))

وفيه فرعان

الفرع الأول : تعريف كلمتي (الرب والعالمين) واشتقاقهما .

الفرع الثاني : معانى قوله سبحانه ((رب العالمين))

الفرع الأول

تعريف كلمتي *((الرب والعالمين))* واشتقاقهما

الرب : من الفعل رب ((يقال رب الولد ربا : وليه وتعهده بما يغذيه وينميه ويؤدبه فالفاعل راب والمفعول مربوب وربيب ورب القوم ساسهم ورأسهم وفى حديث ابن عباس مع ابن الزبير (لأن يربنى بنو عمى أحب الى من أن يربنى غيرهم

) ورب الشئ ملكه وجمعة ورب الشئ أصلحة ومتنه ورب الدهن : طيبه وأجاده)) (3)((وكلمة الرب اسم لله لا يطلق على غيره الا مضافا فتقول رب الدار ولا يجوز أن تقول على مخلوق هذا الرب وله معان كما أسلفنا المتعهد المصلح والسيد المطاع كما فى قول الله على لسان يوسف [اذكرني عند ربك] أى سيدك والمعنى الثالث للرب هو المعبود وشاهد ذلك هو قصة الأعراب الذى ذهب الى صنمه يوما فوجده قد نكس على رأسه والثعلب يبول عليه فأنشد يقول :

أرب يبول الثعلبان برأسه & لقد زل من بالت عليه الثعالب)) (4)

ومعناه أمعبود يفعل به مثل هذا الفعل . وعليه فالرب هو السيد المالك وهو المعبود المطاع وهو المتعهد بالمربوب ليصلح شأنه فمصلح الكائنات ومدبر أمرها ومربيها الى غاية كمالها ليس الا الله .

---

(1) هود 15 – 16

(2) محاضرات فى تفسير الفاتحة / الجزائرى

(3) المعجم الوسيط ص 345

(4) بتصرف يسير من محاضرات الشيخ الجزائري

((وأما كلمة ((العالمين)) فجمع عالم بفتح اللام وهو الخلق كله وقيل كل ما حواه بطن الفلك والعالم كل صنف من أصناف الخلق كعالم الحيوان وعالم النبات وجمعه عوالم وعالمون)) (1)

قال ابن كثير ((قال الزجاج العالم كل ما خلق الله فى الدنيا والآخرة قال القرطبى وهو الصحيح والعالم مشتق من العلامة لأنه علم دال على وجود خالقه وصانعه ووحدانيته كما قال ابن المعتز

فيا عجبا كيف يعصى الإله & أم كيف يجحده الجاحد

وفى كل شئ له ءاية & تدل على أنه الواحد (2)))

الفرع الثاني

معاني قوله سبحانه *[رب العالمين]*

أعجب ما فى هذه الكلمة (رب العالمين) أنها جمعت بين معاني البر والرحمة ومعانى العزة والجبروت

أولا : رب العالمين الذى تكفل بأمورهم وتعهد بإصلاح شأنهم وتدبير أحوالهم من يوم علوقهم نطفا فى أرحام أمهاتهم الى يوم وفاتهم ومماتهم

وهذه معانى البر والرحمة الدنيوية – ثم اصطفى عباده المؤمنين من بين الخلق أجمعين فارتضاهم لطاعته واصطفاهم لمحبته وجعلهم أهلا لولايته مع أنه رب العالمين وهذه هى معانى الرحمة الأخروية .

فإذا استشعر العبد تلك المعاني وأحس بمعانى تلك الربوبية من إحسان دينوى وأخروى عند ذلك سوف يحمد الله كما يريد الله اذ إن النفوس جبلت على حب ومدح من أحسن اليها لا سيما اذا ذكرت بهذا الإحسان إبان مدحها وأي إحسان أعظم من هداية العبد الى صراط مستقيم وكما قيل :

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم & فطالما استعبد الإنسان إحسان

وعلى ما ذكرناه يكون الله سبحانه وتعالى قد ذكر الحمد ثم جاء بمقتضاه وبرهان عليه وهو لطفه بعباده وتربيته لهم فيسهل على العبد أن يحمده حمدا يليق به ربا عظيما .

وكما أسلفنا فى تعريف العالمين ليس المقصود بها الإنسان فحسب أو المؤمن فقط بل هو سبحانه رب العالمين والمتكفل بالخلق أجمعين من إنسان وحيوان وملائكة وجان وطير وحوت فى كل مكان وزمان يقول الشيخ عبدا لرحمن السعدى ((وربوبيته تعالى للعالمين على قسمين :

ربوبية عامة للجميع مؤمن وكافر انسهم وجنهم الإنسان والحيوان خلق المخلوقين ورزقهم وهدايتهم لما فيه مصالحهم التى فيها بقاؤهم فى الدنيا .

---

(1) المعجم الوسيط ص 655

(2) تفسير ابن كثير ج 1 ص 24

وربوبية خاصة : تربيته لأوليائه فيربيهم بالإيمان فيوفقهم له ويدفع عنهم العوائق الحائلة بينهم وبينه وحقيقتها التوفيق لكل خير والعصمة من كل شر)) (1) وكونه تعالى ربا للعالمين ينبه العبد الى فائدتين

الأولى :- أن يشعر العبد بأنه لا يسعه إلا أن يوافق هذه العوالم كلها فى طاعتها لربها وسيرها وفق منهجه فان هذا الكون بأسرة يسير فى طريق واحد ولا يشذ فى هذا الكون الا من عصى الله .

الثانية :- أن يعلم العبد أن ربه الذي يرعاه ويصونه ويهديه هو رب يتعهد جميع العالمين يطمئنون الى رعايته ويلجئون ألي ربوبيته فيرى العبد نفسه شيئا لا يكاد يذكر فى محيط العالمين فيمتثل أمر ربه ويجتنب نهى مولاه ويصبر على أقداره ويرضى بما قسمه له من أرزاقه إذ إنه يعيش مطمئنا الى رعاية ربه وربوبيته موافقا الكون فى طاعة لمولاه .

يقول صاحب الظلال ((إطلاق الربوبية هو مفترق الطريق بين النظام والفوضى فى العقيدة لتتجه العوالم كلها إلى رب واحد تقوله بالسيادة المطلقة وتنفض عن كاهلها زحمة الأرباب المتفرقة ثم ليطمئن ضمير هذه العوالم الي رعاية الله الدائمة وربوبيته القائمة والى أن هذه الرعاية لا تفتر ولا تنقطع أبدا ولا تغيب)) (2)

ثانيا :- هذه الكلمة (رب العالمين) فيها من معانى الرهبة وقوة البطش وشدة الانتقام الشئ الكثير وذلك من جهتين .

الأولى :- أنه لما كان الله رب العالمين فيقتضى ذلك أن عبادة غيرك كثير وكثير بل من عبادة من الله لا يعصيه طرفة عين ومنهم من باع نفسه وماله لله من نبيين وصديقين وشهداء وصالحين فالله غنى عنك وعن عبادتك القاصرة التى لا تكاد تصفوا خالصة لله يوما مما يوجب للعبد خوفا أن ترد عليه عبادته .

الثانية :- أنه مما تعنيه كلمة رب العالمين أنه رب لهذه الممالك وتلك الخلائق رب لجبريل الذى رفع قوى المؤتفكات وقلبها على أهلها رب لمالك خازن جهنم الذى لم يضحك قط رب لجهنم التى يحطم بعضها بعضا رب للبرق الخاطف والرعد القاصف [يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال] (3)

رب ذو أخذ شديد يأخذ أخذ عزيز مقتدر يقول للشيء كن فيكون العالمون تحت قهره وأمره وما يعلم جنود ربك الا هو مما يوجب للعبد خوفا ورهبة اذ هو عبد ضعيف وربه رب العالمين قدير متين قهر بقوته العالمين وخضع لعظمته الخلق أجمعين يقول الشيخ أبوبكر الجزائرى ((وينظر المسلم الى شدة بطش ربه وقوة انتقامه والى سرعة حسابه فيتفنن فى طاعته ويتوقاه بعدم معصيته فيكون هذا أدبا مع الله اذ ليس من الأدب فى شئ عند ذوى الألباب أن يتعرض بالمعصية العبد الضعيف للرب العزيز والله عزيز ذو انتقام)) (4)

---

(1) تيسير الكريم الرحمن ج 1 ص 2

(2) فى ظلال القران ج 1 ص 23

(3) الرعد 13 (4) منهاج المسلم ص 63

وخلاصة القول

فى

((الحمد لله رب العالمين))

أن العبد بعدما رأى فيض رحمة ربه فى قوله سبحانه الرحمن الرحيم من البسملة استجاب لذلك بان حمد ربه حمدا يستغرق جميع المحامد معترفا أن هذا الحمد على عظمه ليس الا حقا لله عالما أن هذا الحمد قد تم وكمل لربه قبل أن يحمده الحامدون . ويستشعر العبد أيضا ما ينطوي عليه هذا الاقتران بين الحمد واسم الجلالة ((الله)) من أن الله له الحمد مهما قدر للعبد وقضى عليه بما تقتضيه صفات رحمته أو عدله اذ هو عليم حكيم ومن أن أعظم نعمة تستوجب هذا الحمد هى نعمة توحيد الله وإفراده بالألوهية عمن سواه ويعترف مع ذلك بأنه لم يوف ربه حقه فى الحمد ولكن ربه حليم رحيم يقبل منه اليسير من الحمد ويجازيه عليه الكثير من الأجر .

ثم بعد ذكر الحمد جاء بمقتضاه من كونه ربا للعالمين مصلحا لشأنهم فى جميع أحوالهم مما يجعل العبد يأتى بالحمد كما أمر الله وأراد .

والعبد عندما يشاهد ربوبية الله للعالمين جميعا لا يسعه الا أن يوافق تلك العوالم فى طاعتها لربها لئلا يصبح نشاذا فى الكون .

ثم يتفكر كم فى العالمين من عباد مخلصين ودعاة مصلحين وشهداء كادحين وعلماء عاملين وملائكة مطهرين وأنبياء مرسلين فيخاف أن ترد عليه أعماله إذ العباد غيره كثير .

المبحث الرابع

تفسير قوله تعالى [الرحمن الرحيم]

أوردنا منذ قليل معنى هذين الوصفين عند الكلام على البسملة وعلمنا أن وصف الرحمن خاص بالله سبحانه وتعالى لا يوصف به غيره وهو يدل على الرحمة العامة لجميع الخلق أما الرحيم فهو وصف يدل على الرحمة الخاصة بالمؤمنين ويجوز أن يوصف به غير الله كما قال تعالى ((بالمؤمنين رؤوف رحيم)) (1) فى وصف نبينا عليه السلام بل يطلب من العبد أن يتصف بهذا الوصف أعنى الرحمة ففى الحديث الصحيح ((ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء)) (2) وقال أيضا ((من لا يرحم لا يرحم)) (3) وقال الراحمون يرحمهم الرحمن)) (4)

وهنا سؤال لماذا كرر تعالى قوله الرحمن الرحيم فى أية مستقلة بعد قوله [الحمد لله رب العالمين]

والجواب أن عبارات المفسرين اختلفت فى ذلك فمنهم من قال كررت للتأكيد ولكننا سنذكر ثلاث فوائد لهذا التكرار لنعلم قوة المناسبة بين هذه الأية وما قبلها وأن الأمر ليس لمجرد التأكيد .

الفائدة الأولى : أنه لما كان معنى قوله الحمد لله هو احمدوا الله حق حمده وكان العباد عاجزين عن أن يوفوا ربهم حقه فى الحمد أتبع ذلك بقوله الرحمن الرحيم ومن مقتضيات رحمته أن يقبل من العمل اليسير ويجازى عليه الكثير فيقبل من عبده أن يقول بقلبة ولسانه الحمد لله ويكون ذلك عند الله خيرا مما أنعم الله به على الإنسان بل ان توفيقه للحمد نعمة تحتاج الى حمد فكيف سيوفى ربه حقه ان لم يقبله منه الرحمن الرحيم برحمته وفضله وعفوه وتجاوزه .

الفائدة الثانية :- أنه لما كان قوله رب العالمين فيه من معانى الهيمنة وشدة البطش ما فيه فهو سبحانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء إذ هو رب العالمين لما كان الأمر كذلك أتبع ذلك بقوله ((الرحمن الرحيم)) ليعلم العبد أن تلك الهيمنة والكبرياء تصاحبها رحمة متناهية قد وسعت كل شئ وبذلك يحيا العبد بين الخوف والرجاء يقول القرطبى ((وإنما جاء بقوله الرحمن الرحيم بعد قوله رب العالمين لأنه لما كان اتصافه برب العالمين ترهيب قرنه

بالرحمن الرحيم لما تضمنته من الترغيب فجمع فى صفاته بين الرغبة فيه والرهبة منه فيكون أعون على طاعته وأمنع من معصيته)) (5)

---

(1) التوبة 128
(2) صحيح صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ج 1 ص 216 رقم 896
(3) رواه مسلم من حديث الأقرع بن حابس ج 15 ص 444 رقم 2318 والفتح 10 ص 452 رقم 13
(4) صحيح الجامع الصغير ج 1 ص 661 رقم 3522
(5) الجامع لأحكام القران / القرطبى ج 1 ص 186

وهذا كقوله تعالى ((نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم)) (1)

((وفى الحديث الصحيح ((لو يعلم العبد المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع فى جنته أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من رحمته أحد)) (2))) (3)

الفائدة الثالثة :- ((أنه لما كان قوله رب العالمين فيه من معانى الرحمة والبر الشئ الكثير من رعاية لأحوالهم وتدبير لسؤنهم وإيداع السكينة قلوبهم أتبع ذلك بقولة الرحمن الرحيم ليعلم العباد أن هذه الرحمات وتلك الألطاف وهذه النعم لم تكن عن رغبة فى شئ يحتاجة الرب من عباده فهو الغنى وهم الفقراء ولم تكن عن رهبة منهم اذ هو القوى وهم الضعفاء بل تلك النعم والرحمات محض فضل منه ورحمة ولم يوجب ذلك أحد عليه بل فعل ذلك بهم لأنه رحمن رحيم)) (4)

قلت :- ومن تأمل فى تلك الفوائد الثلاث وجدها تغرس فى قلب العبد رجاء الله ومحبته واستشعار رحمته للخلائق واعلم أخي أن من أعظم ما يغرس ذلك فى النفوس تذكر نعم الله على خلقه فقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها يقول الشيخ أبوبكر الجزائرى ((وينظر المسلم الى ألطاف الله تعالى فى جميع أموره والى رحمته له ولسائر خلقة فيطمع فى المزيد من ذلك فيتفرغ له بخالص الضراعة والدعاء ويتوسل اليه بطبيب القول وصالح العمل فيكون هذا أدبا مع الله اذ ليس من الأدب فى شئ اليأس من مزيد رحمة قد عمت البرايا ولا القنوط من إحسان قد عم أطراف الكون)) (5)

المبحث الخامس

تفسير قوله ((مالك يوم الدين))

وفيه مطلبان

المطلب الأول :- معنى كلمتى ((مالك – الدين)) واشتقاقهما .

المطلب الثانى :- معانى قوله ((مالك يوم الدين))

المطلب الأول

تعريف كلمتى ((مالك – الدين)) واشتقاقهما .

---

(1) الحجر 49 – 50

(2) رواه مسلم ج 17 ص 230 رقم 2755

(3) تفسير ابن كثير ج 1 ص 24

(4) مستفاد من كلام الأستاذ حسن البنا نقله صاحب صفوة التفاسير ج 1 ص 27

(5) منهاج المسلم ص 61

وفيه فرعان

الفرع الأول : تعريف كلمة مالك .

الفرع الثانى : تعريف كلمة الدين

الفرع الأول

تعريف كلمة مالك واشتقاقها

مالك من الملك ((يقال ملك الشئ ملكا : حازة وانفرد بالتصرف فيه فهو مالك وجمعه ملاك وملك

والملك ما يملك ويتصرف فيه وجمعه أملاك كقوله ((ولله ملك السماوات والأرض)) والملك الله تعالى وهو المالك المطلق)) (1)

وقال ابن كثير رحمه الله ((قرأ بعض القراء ملك وقرأ أخرون مالك وكلاهما صحيح متواتر فى السبع ومالك مأخوذ من الملك كقوله تعالى ((انا نحن نرث الأرض ومن عليها والينا يرجعون)) (2)

وملك مأخوذ من الملك كقوله تعالى [لمن الملك اليوم] (3) والملك فى الحقيقة هو الله وأما تسمية غيره فى الدنيا بملك فعلى سبيل المجاز وفى الصحيحين عن أبى هريرة مرفوعا ((أخنع اسم عند الله رجل تسمى بملك الأملاك ولا مالك الا الله)) (4) وفيهما عن رسول الله (ص) قال يقبض الله الأرض **ويطوى السماء**

بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض ؟ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟)) (5))) (6)

وقد اختلف المفسرون أيهما أبلغ ملك أم مالك فقال بعضهم ((مالك أعظم من ملك لأن الملك وان كان له سلطان على الرعية الا أنه لا يملك الممتلكات حقيقة فلا يملك المنازل والبساتين مثلا وكذلك مالك بها حرف زائد وغالبا الزيادة فى المبنى تدل على زيادة فى المعنى)) (6) وقال أبوعبيد مالك أجمع وأوسع لأنه يقال مالك العبد والطير والدواب ولا يقال ملك ذلك)) (7)

وقال القاسمى ومالك أبلغ من وجوه أنها تزيد بحرف والحرف بعشر حسنات)) (8)

ومال القرطبى الى أن ملك أعظم من مالك مبرهنا على ذلك بأن كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا . (9)

قلت : وعلى كلا القولين فان الله قد وصف بهما نفسه فله سبحانه كل جلال واليه ينتهى كل كمال يقول

الشوكانى ((واذا كان الله تعالى ملكا كان مالكا فله كل كمال وجمال والفرق بين الوصفين بالنسبة الى الرب سبحانه أن الملك صفة لذاته والمالك صفة لفعله)) (10)

---

(1) المعجم الوسيط ص 924
(2) مريم 40 (3) غافر 16
(4) الفتح ج 10 ص 604 رقم 6205 ومسلم شرح النووي ج 14 ص 282 رقم 2143
(5) الفتح ج 8 ص 1413 رقم 4812 ومسلم ج 17 ص 277 رقم 2788
(6) تفسير ابن كثير ج 1 ص 38 – 39 ط دار الفكر الطبيعة الثانية 1419 هـ 1989م بيروت
(7) قاله الشيخ الجزائرى فى محاضراته
(8) معالم التنزيل ج 1 ص 53
(9) محاسن التأويل/القاسمى ج 2 ص 9 ط دار الفكر بيروت الطبعة الثانية 1398هـ-1978م 10 مجلدات
(10) فتح القدير ج 1 ص 28
(11) القرطبى ج 1 ص 188

الفرع الثاني

تعريف كلمة الدين واشتقاقها

الدين من الفعل دان ((يقال دان دينا وديانة خضع وذل وأطاع ودان له ومنه اقتص ودانه حاسبه وساسه والدين اسم لجميع ما يعبد به الله والملة والإسلام والاعتقاد بالجنان والإقرار باللسان والعمل بالجوارح ؛ والدين العادة والحال والدين الحساب والدين الملك والسلطان والحكم والقضاء والديان اسم من أسماء الله)) (1)

وقد وردة كلمة الدين فى الشرع بهذه المعاني أيضا فمنها – الجزاء – والحساب – كقول النبى الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت)) .

ومنها الاعتقاد والتعبد ومنه قول عائشة ((ما عرفت أبوي إلا وهما يدينان دين الحق)) تعنى الإسلام ومن معانيها الذل والخضوع فيوم القيامة يوم يخضعون فيه لرب العالمين)) (2)

ومن معانيها الملك كقوله ((ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك)) أى حكمه وملكه .

المطلب الثاني

معانى قوله ((مالك يوم الدين))

يخبر سبحانه أنه مالك يوم الدين والمعنى كما قال قتادة ((أى يوم يدين العباد بأعمالهم وعن جريج يدان الناس بالحساب)) (3)

فاخباره تعالى بأنه مالك هذا اليوم ينبغي أن يثمر شعورا فى القلب بالذل والفاقة الى هذا الملك المالك وذلك أنه كلما كان الأمر مهولا شديدا وكان الخطب فيه جليلا كان مالك هذا الأمر عظيما ذا هيبة فى النفوس تتطلع القلوب الى رضاه فضلا عن أن يكون المرء مخاطبا له حاضرا بين يديه . وليس هناك من يوم أشد هولا ولا أعظم كربا من يوم الدين فكانت الفاقة الى مالكه أشد والاحتياج اليه أعظم لذا كان على العبد الفقير الذليل إذا وقف بين يدى هذا الإله مصليا ألا يلتفت بقلبه فضلا عن قالبه الى أمر أقل خطبا أو الى مالك أصغر ملكا وهيبة فالله أكبر من هذا الذى قد التفت اليه اذ إنه سبحانه مالك يوم الدين ولعلك أيها الحبيب قد أدركت الأن سر اختيار كلمة الله أكبر ليفتتح بها العباد صلاتهم دون غيرها من سائر الأذكار ليقبل العبد على ربه لا على سواه

(1) المعجم الوسيط ص 330

(2) بتصرف من محاضرات الشيخ الجزائرى

(3) جامع البيان / لأبن جرير الطبرى ج 1 ص 103 ط دار الفكر بيروت حققه صدقى جميل العطار سنة 1415هـ - 1995م

وتأمل تجد المناسبة بين هذه الأية وما قبلها من الآيات فى غاية الإتقان والترتيب وذلك أنه لما أخبر سبحانه أنه لا وصول اليه الا بجناحين

أحدهما : الخوف فى قوله رب العالمين

ثانيهما : الرجاء فى قوله الرحمن الرحيم أتبع ذلك بقوله مالك يوم الدين وكأنه سبحانه يخبر العبد أن خوفه ورجاءه لن يذهب هباء ولن يضيع سدى فهذا الإله الذى كنت تخافه فى الدنيا وترجوه هو مالك يوم الدين فكأنه يقول من عبدنى بالخوف والرجاء كنت عند حسن رجائه وأمنته يوم الدين الذى أنا مالكه فأجتمع للعبد كل سبب يجعله يقبل على ربه بقلبه وقالبه ذلا لبوبيته ورجاء لرحمته وافتقارا لملكه يوم الدين .

واذا عايش العبد ذلك شغل بالله عما سواه فى هذه الحياة فضلا عن الصلاة فيتعلق قلبه بأخراه فيسخر لذلك دنياه فلا يحزن اذا حزن الناس على فقد دنياهم ولا يفرح اذا فرحوا لقبال زخرفها يقول صاحب الظلال ((ومالك يوم الدين هى كلية الاعتقاد فى الأخرة فالملك أقصى درجات السيطرة ويوم الدين يوم الجزاء فى الأخرة والاعتقاد بيوم الدين كلية تعلق قلوب البشر بعالم أخر بعد عالم الأرض فلا تستبد بهم ضرورات الأرض وعندئذ يملكون الاستعلاء على هذه الضرورات ولا يستبد بهم القلق على تحقيق جزاء سعيدهم فى عمرهم القصير المحدود وفى مجال الأرض المحدود)) (1)

قلت : تأمل فى كلام صاحب الظلال تجده بيانا لمعنى مجمل فى كتاب الله وهو أنه لا يجدر بمن ءامن بالأخرة والجزاء فيها من ثواب وعقاب لا يجدر به أن يلتفت لدنايا هذه الحياة بل يستعلى عليها كما يستعلى الرجل الحازم اللبيب على تطلعات الأطفال قال تعالى ((وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الأخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون)) (2)

فأسلوب الأية أسلوب قصر حيث جاء الاستثناء بعد النفى فحصر الدنيا فى اللهو واللعب وهل الدنيا الا ذلك اذا لم يسخرها العبد فى طاعة الله ومن تأمل سفاهة أهلها وتفاهة تطلعات أصحابها وجدها كلهو الصبية الصغار فقد أضاع بهجتها أن الله كتب عليها الزوال وكتب على أهلها الانتقال فلم تكتكمل فيها لذة ولم تتم فيها سعادة أما الجنة فالخلود وعدم التحول عنها سر السعادة الأكبر فيها حتى ان هذا الخلود لو كان فى تواضع من العيش لكانت سعادة حقيقية فكيف وهو خلود فيما لا

عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاكتملت السعادة لأهل الجنة بالنعيم والخلود فكانت هى السعادة فى أسمى معانيها .

(1) فى ظلال القران ج 1 ص 24

(2) العنكبوت 64

وخلاصة القول

أن العبد بعدما شاهد ملك الله وهيمنته على كل العوالم فى قوله (رب العالمين) جاء قوله الرحمن الرحيم ليبث فى فؤاده الرجاء فيحيا بين الخوف والرجاء وكذلك لما عاين لطف الله ورحمته فى قوله رب العالمين جاء قوله الرحمن الرحيم ليعلمه أن رحمة الله لعباده ليست عن رغبة ولا عن رهبة وانما هى محض رحمه منه وفضل لأن وصفه رحمن رحيم .

ومن أثار رحمته أن يقبل اليسير كقول العبد الحمد لله ويجازى عليه الكثير .

وبعدما عايش القلب نعانى الخوف والرجاء جاء قوله مالك يوم الدين ليعلم العبد أن هذا الاله الذى كان يعبده بالخوف والرجاء فى الدنيا سوف يكون عند حسن رجائه يوم الدين ويؤمنه يوم القيامة والجزاء من جنس العمل .

كما أن هذه الأية تنبه العبد الى أن يوم الدين فيه من الأهوال ما الله به عليم اذ جمع هذا اليوم بين أهوال عظام وكروب جسام وبين عظم شأنه فى تحديد المصير بعده إما الى جنة وإما الى ناره لذا كان على العبد الا يألو جهدا فى أن يظفر برضا مالك يوم الدين وقبوله ولن يكون ذلك الرضا وهذا القبول لعبد قد التفت عن ربه الى سواه وانه ليسهل على العبد أن يقبل على ربه ومن ثم يقبله ربه اذا هام فى رياض الفاتحة مستشعرا ربوبيتة الله للعالمين فيورثة ذلك ذلا ورهبة متذكراً رحمته فيورثه ذلك محبة ورغبة فهذان جناحان يطير بهما العبد الى ربه حتى اذا استأذن أذن له فأصبح فى معية ربه وبين يديه وكان لسان الحال حينها قل تسمع وسل

تعطه فقد علمت كيف يدخل على الملوك فسبحان من جعل الطريق اليه سهلا ميسورا وملأ قلوب العباد بذكره روحا و نورا فالحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين .

المبحث السادس

تفسير قوله ((إياك نعبد وإياك نستعين))

وفيه ثلاث مطالب

المطلب الأول : تعريف العبادة والاستعانة واشتقاقهما .

المطلب الثانى : معانى ((إياك نعبد وإياك نستعين)) .

المطلب الثالث : الحكمة من ترتيب الاستعانة بعد العبادة .

المطلب الأول

تعريف العبادة والاستعانة واشتقاهما .

العبادة من الذل والخضوع ((يقال عبد الله عبادة وعبودية انقاد له وخضع وذل ؛ ويقال عبده : ذللـــه مثل قولهم عبد الطريق وعبد البعير ومنه قوله تعالى على لسان موسى (أن عبدت بنى إسرائيل) أى ذللتهم لخدمتك)) (1). ((وقولنا بعير معبد أى سلس منقاد . وطريق معبد أى ممهد للوطء , وعبد الطاغوت أى أطاعه فالعبادة على هذا النحو اللغوى : هى الإذعان لعلاء المعبود والنزول عن كل مقاومة وعصيان نزولا يستوجب طاعة مطلقة لهذا المعبود)) (2)

((وأما الاستعانة – فهى من قولهم استعان فلان فلانا أى طلب منه العون)) (3) يقال استعنت الله واستعنت بالله وهما سواء ولا يقال الأول أحسن من الثانى لأنه ورد عن النبى (صلى) أنه قال ((واستعن بالله ولا تعجز)) (4) فلا يقال إن رسول الله قد ترك الأحسن.

وقد حذف معمول نعبد ومعمول نستعين فلم يقل إياك نعبد بكذا وكذا ليعم كل عبادة بل ليعم كل الحياة وأنها لله كاملة كقوله تعالى ((قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين)) (5)

فكان الحذف أعم . وكذلك الأمر فى الاستعانة فلم يقل وإياك نستعين على كذا وكذا وكأن العبد يخبر أنه يستعين بربه فى كل أموره وشؤنه وجميع لحظات حياته فكان الحذف أعم .

---

(1) المعجم الوسيط ص 608
(2) المصطلحات الأربعة ص 87
(3) المعجم الوسيط ص 669
(4) رواه مسلم ج 16 ص 163 رقم 2664
(5) الأنعام 162

المطلب الثاني

معانى ((إياك نعبد وإياك نستعين))

وفيه فرعان

الفرع الأول :المناسبة بين الأية وما قبلها .

الفرع الثانى : معنى العبادة .

الفرع الأول المناسبة بين الأية وما قبلها .

لا تصلح القلوب ولا تستقيم الجوارح بشئ مثل معرفة الله بأسمائه وصفاته ؛ ترى ماذا أثمرت تلك المعرفة فى قلب العبد بعدما قرأ ما سبق من آيات الوصف والثناء على الله . لقد أثمرت حبا لله اذ هو رب العالمين ورجاء فى رحمته اذ هو رحمن رحيم وخوفا منه وافتقارا إليه إذ هو مالك يوم الدين . فلما أثمرت الآيات هذه المعانى فى قلب العبد فكأنه اقترب من ربه وشعر بحضوره بين يديه فتحول الكلام من الغيبة الى المواجهه بكاف الخطاب (إياك) (1) وفى هذا القرب وتلك المعرفة أصبح العبد خاضعا لربه محبا لمولاه راجيا لرضاه يبحث عن ما يترضى به ربه فلم يجد الا ما خلقه ربه من أجله فيلهج قلبه وينطق لسانه بقوله ((إياك نعبد - وإياك نستعين)) لأن الله خلقه من أجل ذلك فقال ((وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)) (2)

وهكذا حال من عرف ربه فانه يطلب رضاه ولن يناله بشئ كهذه العبادة التى خلقه من أجلها . [هذه هى المناسبة القوية بين هذه الأية وما قبلها]

الفرع الثانى معنى العبادة :

هذه الكلمة ((إياك نعبد وإياك نستعين)) يطلب بها العبد رضا الله لذلك ينبغى أن يكون العبد على معرفة بحقيقة هذه العبادة ومفهوم تلك العبودية . هذه العبادة كما يعرفها العلماء ((هى اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة)) (3)

وهذه الطاعات تكون مع غاية الحب والذل والتعظيم فتعبد الله حبا وتعظيما له وذلا اليه وهى فى الظاهر إذعان العبد وقبوله وعدم عصيانه ومقاومته لكل ما أمره به ربه أو نهاه عنه ويشترك معها عبودية القلب وهما لا يجتمعان الا للمؤمن وهى اعتراف المؤمن بعلو شأن ربه وامتلاء القلب بعواطف الشكر والامتنان على نعمه وآلائه فتكون العبودية قلبا وقالبا .

واعلم أيها الحبيب – جعلنا الله وإياك من عبيده وحده – أن من لم يصرف ذلك لله صرفه لغيرة ولا بد فان الإنسان خلق بطبيعه عبدا وبقدر تخليك عن عبادة ربك تكون عبادتك لغيره فاختر لنفسك من تعبد [يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم] يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ((وكمال المخلوق فى تحقيقه عبوديته لله فكلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته .

(1) تفسير ابن كثير ج 1 ص 25
(2) الذاريات 56
(3) تعريف شيخ الاسلام ابن تيمية انظر فتح المجيد ص 17 تعليق الشيخ/ ابن باز ط دار الحديث القاهرة طبعة 1422هـ - 2001م مجلد واحد

ويقول أيضا ولابد لكل عبد من مراد محبوب هو منتهى حبه وإرادته فمن لم يكن الله معبوده ومنتهى حبه وإرادته بل استكبر عن ذلك فلابد له من مراد محبوب يستعبده غير الله فيكون عبدا لذلك المراد المحبوب إما المال وإما الجاه وإما الصور)) (1)

فالذى يصرف العبادة لله وحده هو الذى يرتاح قلبه ويتوحد مقصودة لأنه يعبد الاها واحدا .

أما الذى لا يوحد الله بالعبادة فسوف يعبد غير الله وتتفرق به السبل يقول صاحب الظلال ((اياك نعبد وإياك نستعين هى كلية تعلن ميلاد التحرر البشرى الكامل .

التحرر من عبودية الأوهام ؛ التحرر من عبودية النظم ؛ التحرر من عبودية الأوضاع . لأن الله وحده هو المعبود وهو وحده المستعان)) (2)

وإذا علمت ذلك فاعلم أن فى الآية من محاسن البيان وحسن الصياغة الشئ الكثير ومن ذلك :

أولا : تقديم المعمول إياك على فعله ((نعبد ونستعين)) وفائدة هذا التقديم **الحصر** فلو كان سياق الآية نعبدك ونستعينك لم يمنع ذلك أى يعبد مع الله غيره وأن يستعين معه بسواه ولكنه لما قدم المعمول أفاد الحصر فى ذلك ومعناه اذن لا نعبد إلا أنت ولا تستعين إلا بك .

ثانيا : الالتفات من الغيبة الى الخطاب لتحريك الذهن وإثارة الانتباه وهذا الالتفات من الغيبية الى المواجهة يشير الى قرب العبد من ربه وحضوره بين يديه .

ثالثا : الجمع فى قوله (نعبد ونستعين) والمتكلم واحد يقول الشيخ محمد الصابوني ((وردت صيغة نعبد ونستعين بلفظ الجمع وكأن العبد يعترف بقصوره أن يقف فى باب ربه بمفرده وكأنه يقول أنا يا رب العبد الحقير لا يليق بى أن أقف ببابك وحدى بل أنتظم فى سلك المؤمنين ليقبلنى الله فى جملتهم)) (3)

<u>فائدة :</u>

((فى إخبار العباد عن أنفسهم فى ذلك ((إياك نعبد)) دليل على أن العبادة إرادة شرعية اذ لو كانت إرادة كونية لكان إخبارهم عنها تحصيل حاصل اذ هى موجودة فعلا سواء أخبروا بذلك أم لا لذا قال تعالى ((وما خلقت الجن والإنس الا ليعبدون)) فأضاف الخلق الى نفسه وأضاف العبادة لهم اذ لو أضافها لنفسه لقال (الا لأعبدهم لى) فأخبر العبد أنه امتثل لهذه الإرادة الشرعية فاجتمعت فيه الارادتان الشرعية والكونية اذ لا تجتمعان الا فى المؤمن)) (4)

((وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذه العبادة بعدما ذكر من صفاته (5) ما يدل على الحب وعلى الخوف وعلى الرجاء لأنه لابد للعبد من ذلك فى عبادته فمن عبدا لله بالرجاء فقط فهو مرجئ ومن عبدا لله بالخوف لا غير فهو حرورى (6) ومن عبدا لله بالحب فحسب فهو زنديق (7) ومن عبدالله بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد جعلنا الله وإياكم من هؤلاء)) (8)

(1) رسالة العبودية لأبن تيمية ص 19 ؛ 31 طبعة دار السلفية القاهرة (2)فى ظلال القران ج 1 ص 25 (3) صفوة التفاسير للصابوني ج 1 ص 27 (4) انظر فتح المجيد ص 17-19 (5) المرجئ من المرجئة يعتقدون أنه لا يضر مع الايمان معصية وسموا مرجئة لأنهم أرجأوا العمل عن الإيمان أى أخروه فأخرجوه منه (6) حرورى من الحرورية وهم الذين خرجوا على يسبب التحكم وسموا بهذا الاسم نسبة الى بلدهم (7) زنديق هو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان(8) رسالة العبودية ص 37

المطلب الثالث

الحكمة من ترتيب الاستعانة بعد العبادة

أولا : العبد فى طريقه الى الله تعوقه شهوات وشبهات ويحاربه شياطان من الإنس والجن والعبد ليس له بذلك طاقة الا أن يعينه ربه وينجيه بل عقل المرء وجهده هلاك له مالم يهده ربه

اذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجنى عليه اجتهاده

لذلك كله جاء قوله ((إياك نستعين بعد قوله إياك نعبد)) ليعلن العبد بذلك أنه فقير عاجز أن يقود نفسه الى ربه فيستعين ربه على عبادته أن يوفقه لامتثال أمره ويحفظه من اقتراف نهيه يقول الشيخ أبوبكر الجزائرى ((وينظر المسلم الى الله تعالى وقد قدر عليه وأخذ بناصيته وأنه لا مفر ولا مهرب ولا ملجأ ولا منجا منه الا اليه فيفر اليه ويسجد بين يديه فيفوض أمره اليه ويتوكل عليه فيكون هذا أدبا مع ربه وخالقه اذ ليس م الأدب فى شئ الاعتماد على غير الرب القادر)) (1)

ولله در القائل

واشدد يدك بحبل الله معتصما & فانه الركن ان خانتك أركـــــان

من يتق الله يحمد فى عواقبه & ويكفه الله من عزوا ومن هانوا

من استعان بغير الله فى طلب & فان ناصره عجز وخـــــــذلان

ثانيا : ((قدم سبحانه العبادة على الاستعانة لأن العبادة غاية والاستعانة وسيلة فقدم الغاية على الوسيلة كما أن الاستعانة تكون من المخلص وغيره والعبادة لا تكون الا من المخلص)) (2)

((كما أن الاستعانة نوع من العبادة فذكر العبادة مجملة أولا ثم ذكر ما هو من تفاصيلها فهو من ذكر الخاص بعد العام لشرف هذا الخاص)) (3)

((ومن هذا الشرف الذى ذكرت من أجله الاستعانة أن العبد فى حاجة الى الاستعانة فى جميع عباداته (4) **))**

ثالثا : كرر سبحانه وتعالى إياك مرة بعد أخرى وكان يصح الاكتفاء بواحدة لفائدة ذكرها ابن القيم رحمه الله فقال : ((وإعادة إياك مرة بعد أخرى دلالة على تعليق هذه الأمور بكل واحد من الفعلين ففى إعادة الضمير من قوة الاقتضاء لذلك ما ليس فى حذفه . فإذا قلت لملك مثلا إياك أحب وإياك أخاف كان فى قولك هذا من اختصاص الحب والخوف بذاته والاهتمام بذكره ما ليس فى قولك إياك أحب وأخاف)) (5)

(1) منهاج المسلم ص 60
(2) تهذيب مدارج السالكين ص 60
(3) معالم التنزيل ج 1 ص 54
(4) تفسير السعدى ج 1 ص 3
(5) تهذيب مدارج السالكين ص 61

وخلاصة القول :

أن العبد بعد ما علم من صفات ربه ما أورثه حبا لله ورجاء لمولاه وخوفا من الذى خلقه فسواه وامتلأ قلبه بذلك عندئذ شعر بقربه من ربه وحضوره بين يديه فخاطب ربه قائلا إياك نعبد وإياك نستعين معلنا بذلك أنه خاضع ذليل حسر كسير قد امتلأ قلبه بعظمة ربه فوقه وامتنانه عليه من بين خلقه لذلك فهو يشعر بأنه قليل وعبادته تلك أقل منه فيخاطب ربه بصيغة الجمع نعبد ونستعين ليضم نفسه الى جملة عباد الله الصالحين اذ إنه ليس أهلا لأن يقبله الله وحيدا اذ عمله قليل وقلبه عليل . فما أوجزها من أية وأسلسها من عبارة حوت بين جنباتها كل تلك المعانى الجمة والتناسق العجيب . ((لذلك قال بعض السلف الفاتحة سر القرآن ، وسر الفاتحة [إياك نعبد وإياك نستعين] فالأول تبرؤ من الشرك والثاني تبرؤ من الحول والقوة)) (1) ومن نجا منهما فقد نجا من كل شر ومن ثم فاز بكل خير . فاياك الاهنا نعبد واياك ربنا نستعين .

المبحث السابع

تفسير قوله ((اهدنا الصراط المستقيم – صراط الذين أنعمت عليهم .....))

وفيه مطلبان

المطلب الأول : قوله تعالى ((اهدنا الصراط المستقيم))

المطلب الثانى : قوله تعالى ((صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب .....))

المطلب الأول

تفسير ((اهدنا الصراط المستقيم))

وفيه فرعان

الفرع الأول : تعريف الهداية والصراط واشتقاقهما

الفرع الثانى : معانى (اهدنا الصراط المستقيم)

الفرع الأول وفيه مسألتان

المسألة الأولى تعريف الهداية واشتقاقها

المسألة الثانية تعريف الصراط واشتقاقه

---

(1) تفسير ابن كثير ج 1 ص 25

المسألة الأولى

تعريف الهداية واشتقاقها

الهداية تأتى بمعنى الإرشاد ((يقال هدى فلانا : أرشده ودله وفى التنزيل ووجدك ضالا فهدى ؛ وهدى فلانا الطريق عرفه وبينه له ومنه وهديناه النجدين واستهدى فلان أى طلب الهداية واستهدى فلانا أى طلب منه الهداية والهدى : الدلالة بلطف الى ما يوصل الى المطلوب .)) (1)

((ومن معانى الهداية الإلهام وفى التنزيل ((والذي قدر فهدى)) أى قدر الأشياء ثم هدى الخلائق الى طلبها كطلب الغذاء)) (2) ((وقد تأتى بمعنى الثبات فالعرب تقول للقائم قم حتى أتيك أى اثبت على حالك وقد يدل سؤال الهداية على سؤال لزومها فيكون التقدير اهدنا لزوم الصراط قاله ابن الأنبارى)) (3)

وفيما سبق جواب على من سأل فقال كيف يسأل المسلم ربه الهداية وهو مهتد لأن سؤال الهداية يشمل هداية الارشاد والتوفيق والثبات فيكون المقصود ثبتنا على تلك الهداية((ولا مانع أن يكون المقصود طلب الهداية والمراد المزيد منها لأن الألطاف والهدايات من الله لا تتناهى على مذهب أهل السنة)) (4)

قلت :

إن العبد عاجز عن معرفة طريق الحق بحوله وقوته وإذا عرفه فعاجز عن التوفيق لذلك واذا وفق فعاجز عن الثبات عليه ولزومه فالعبد يسأل ربه الهداية

فى كل حال اذ هو لا يملك نفسه وقلبه فقد يسلب إيمانه من حيث لا يشعر وكثير ما هم ثبتنا الله وإياكم على الصراط المستقيم .

المسألة الثانية

تعريف الصراط واشتقاقه

((يقال سرطه بالسين ابتلعه ؛ وانسرط الطعام فى حلقه سار فيه سيرا سهلا والسراط : الطريق الواضح)) (5) ((وقد قدمنا أن قراءة السين من السبع المتواترة وهى الأصل فى الكلمة ((السين)) ويؤنث ويذكر فتقول هذا صراط وهو أكثر وهذه صراط وهو أقل (6) وأجمعت الأمة من أهل التأويل جميعا أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذى لا اعوجاج فيه)) (7)

ووصف بالمستقيم لأنه قد يكون الصراط غير مستقيم فلا يلزم من كونه صراطا كونه مستقيما .

(1) المعجم الوسيط ص 1019
(2) محاضرات الشيخ الجزائرى .
(3) زاد المسير / ج 1 ص 14
(4) معالم التنزيل ج 1 ص 54
(5) المعجم الوسيط ص 452
(6) محاضرات الشيخ الجزائرى
(7) تفسير ابن كثير ج 1 ص 27

الفرع الثانى

معانى اهدنا الصراط المستقيم

((يسأل العبد ربه الهداية الى الصراط المستقيم بعدما أثنى عليه بأسمائه وصفاته وبعدما أخبر بأنه يفرده بالعبادة ويخصه بالاستعانة فيكون قد قدم بين يدى دعائه توسلا بأسماء الله الحسنى وتوسلا بعمله الصالح وهما نوعان من أنواع التوسل المشروع فهذا أحرى أن يستجيب الله له دعاءه بخلاف اذا سأل الله الهداية دون هذين النوعين من التوسل وحديث أصحاب الغار(1) شاهد على ذلك)) (2) .

هذه هى المناسبة الأولى بين هذه الأية وما قبلها وأما المناسبة الثانية : فهى أن إخبار العبد أنه يعبد الله وحده ولا يستعين الا به – هذا أمر لفظي فجاء الدعاء ليكون تطبيقا عمليا للعبادة والاستعانة اذ ان الدعاء تتجلى فيه معانى التذلل والعبودية والاستعانة بالربوبية أكثر مما تظهر فى غيره لذلك قال رسول الله ((الدعاء هو العبادة)) (3) يقول صاحب الظلال ((وبعد تقرير تلك الكليات

الأساسية فى التصور الاسلامى وتقرير الاتجاه الى الله وحده بالعبادة والاستعانة يبدأ فى التطبيق العملى لذلك بالتوجه الى الله بالدعاء على صورة كلية تناسب جو السورة وطبيعتها . اهدنا لمعرفة الصراط المستقيم ووفقنا للاستقامة عليه فان المعرفة والاستقامة كلتاهما ثمرة لهداية الله ورعايته ورحمته .

ثم ان التوجه الى الله فى هذا الأمر هو ثمرة الاعتقاد بأنه وحده المعين . وهذا الأمر هو أعظم وأول ما يطلب المؤمن من ربه العون فيه فالهداية الى الطريق المستقيم هى ضمان للسعادة فى الدنيا والأخرة عن يقين)) (4)

والمناسبة الثالثة : أن إياك نعبد فيه شرط الإخلاص واهدنا فيها شرط المتابعة فجمعت أيات الفاتحة بين شرطى قبول العمل - الإخلاص والمتابعة للذين أنعما لله عليهم من النبيين وخيرهم محمد .

قلت : إذا كان الصراط المستقيم له تلك المكانة فى قلب المؤمن ووجدانه إذ في لزومه سعادة الدارين كان على العبد ألا يألوا جهدا فى معرفة هذا الصراط وتحديد معالمه اذ أن الطرق كثيرة والمستقيم منها واحد .

يقول ابن القيم ((وذكر تبارك وتعالى الصراط مفردا معرفا لتعيين هذا الصراط وتخصيصه وأنه

(1) متفق عليه الفتح ج 4 ص 525 رقم 2272 ومسلم ج 17 ص 218 رقم 2473
(2) بتصرف من محاضرات الشيخ الجزائري و شرح منة الرحمن للدكتور ياسر برهامى
(3) صححه الألباني صحيح الجامع الصغير ج 1 ص 641 رقم 407
(4) في ظلال القران ج 1 ص 26

صراط واحد وأما طرق الغضب والضلال فانه سبحانه يجمعها ويفردها كقوله ((ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)) (1))) (2)

واذا عرفت هذا الصراط وهديت اليه فقد هديت الى كل خير فان قوله ((اهدنا الصراط)) جمع هدايتي الإرشاد والتوفيق ((فان الله لم يقل اهدنا الى أو اهدنا فى وانما قال اهدنا الصراط ليكون الدعاء شاملا الهداية لجميع تفاصيل الاسلام علما وعملا وشاملا أيضا الهداية الى لزوم الاسلام والثبات عليه)) (3)

قلت : فما هو هذا الصراط المستقيم الذى يسأل العبد ربه الهداية اليه كل ركعة ويقدم بين يدى الدعاء عملا صالحا يتوسل به وقالوا عنه أنه ضامن لسعادة الدنيا والأخرة عن يقين وقد جاء ذكره معرفا مفردا لئلا يشتبه بغيره أو سواه وكانت الهداية اليه هداية علم وعمل وتوفيق وثبات وارشاد .

والجواب :

أن عبارات المفسرين من الصحابة والتابعين وغيرهم اختلفت فى تفسير هذا الصراط المستقيم ((فعن جابر ابن عبد الله أنه الاسلام . وعن ابن مسعود هو القران وقال مجاهد هو الحق وقال أبوالعالية هو النبى وصاحباه من بعده وقال الحسن صدق أبوالعالية – وجميع ما ذكر يصدق بعضه بعضا .

فان من اتبع الاسلام أو القران أو النبى (ص) فقد اتبع الحق وقال ابن جرير والمعنى وفقنا وثبتنا على ما وفقت له من أنعمت عليهم من عبادك من قول وعمل)) (4)

قلت : اختلفت عبارات المفسرين فى تفسير هذا الصراط المستقيم وهذا الاختلاف لا حرج فيه ولا تضاد بل الصراط المستقيم يدل على ذلك كله يقول شيخ الاسلام ابن تيمية ((ينبغى أن يعلم أن الاختلاف الواقع بين المفسرين ليس فيه تضاد ولا تناقض بل يمكن أن يكون كل منهم على حق وانما هو اختلاف تنوع فان الله سبحانه اذا ذكر اسما فى القران مثل قوله [اهدنا الصراط المستقيم] فكل من المفسرين يعبر عنه بعبارة تدل على بعض صفاته وكل ذلك حق بمنزلة أن يسمى الله ورسوله وكتابه بأسماء كل اسم منها يدل على صفة من صفاته فيقول بعضهم الصراط المستقيم كتاب الله أو إتباع كتاب الله أو الاسلام أو السنة والجماعة أو طريق العبودية أو امتثال المأمور واجتناب المحظور ومعلوم أن المسمى هو واحد وان تنوعت صفاته وتعددت أسماؤه وعباراته)) (5)

---

(1) الأنعام 153

(2) تهذيب مدارج السالكين ص 21

(3) انظر تيسير الكريم الرحمن ج 1 ص 3

(4) انظر مختصر ابن كثير ج 1 ص 37 وفتح القدير ج 1 ص 30

(5) الفتاوى لابن تيمية ج 13 مقدمة التفسير ص 336 طبعة مكتبة ابن تيمية 37 مجلد

ومن كلام شيخ الاسلام يتضح بجلاء أن الصراط المستقيم اختلفت فيه العبارات باختلاف صفاته وصفات السائرين عليه . فان من كان على صراط مستقيم لا يكون الا مصبوغا بصبغة الله وهى دينه الاسلام فيفسر بأنه الاسلام ؛ ومن كان على صراط مستقيم فانه يحيا بالقران أمرا ونهيا وحكما وتشريعا ووعظا وتذكيرا فيفسر بأنه القران ومن كان على صراط مستقيم فانه لا يكون الا عبدا لله فلا يلجأ الا اليه ولا يستعين الا به ولا يتوكل الا عليه لذا يفسر الصراط بالعبودية وبقدر تقصير العبد فى استكمال تلك الأمور وقلة اتصافه بها تكون هدايته ويكون ثباته على هذا الصراط فكمال العبد فيما سبق من حياة بالقران وإتباع للنبى العدنان وصبغة بدين الاسلام واتصاف بعبوديه الحنان المنان كماله فى ذلك هو كمال فى الهداية الى الصراط المستقيم ونقصانه فيها هو نقصان فى هدايته الى هذا الصراط .

وهذا الكلام نفسه نجده فى عبادة عظيمة ؛ كمال العبد فيها كمال فى هدايته ونقصان العبد فيها نقصان فى استقامته ودليل ذلك فى كتاب الله وسنة رسوله هذه العبادة هى العمل لدين الله بالدعوة الى الله والجهاد فى سبيل الله بالنفس والمال والجهد واللسان وسائر أنواع التضحيات اذا كانت خالصة لله متبع فيها رسول الله فهداية العبد لا تكمل الى الصراط المستقيم ولا تتم استقامته عليه الا بالعمل لدين الله بالدعوة الى الله وبرهان ذلك فى أمور كثيرة وأدلة واضحة منيرة من شرع وعقل ويكفينا الشرع فى كلامنا دليلا ودونك – أيها الحبيب – بعض هذه الأدلة من كتاب وسنة وأقوال للعلماء يسر لى ربى أن أجمعها بحوله وقوته محاولا بذلك أن ننبه نفسى والمسلمين أن هذا الصراط المستقيم هو القران وهو الاسلام وهو العبودية وجماع ذلك كله أن يدعوا العبد الى ربه وأن يعمل لدين مولاه بائعا نفسه لله داعيا الى الصراط المستقيم وان كان لفظ القران والإسلام دل على كل عبادة وجمع كل قربة الا أنه فى تخصيص الصراط بنوع من هذه العبادات وشئ من هذه القربات فيه دفع للهمم وإيقاظ للنفوس الشئ الكثير ولا أدعى أننى جئت فى ذلك بجديد ولكنى أضيف معنى يفسر به الصراط غير ناقض ولا معارض ولا مبدل ما فسر به الصراط وهذا المعنى ليس من هوى نفسى بل هو من خالص الوحيين كتاب الله وسنة نبيه

من هذه الأدلة : قوله سبحانه قل هذه سبيلى أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن أتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين] (1)

قال ابن كثير ((يقول تعالى لرسوله آمرا له أن يخبر الناس أن هذه سبيله أى سنته وطريقته ومسلكه وهى الدعوة الى شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له . يدعوا الى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين

(1) سورة يوسف 101

وبرهان هو وكل من اتبعه يدعوا الى ما دعا اليه رسول الله على بصيرة ويقين وبرهان عقلى وشرعى)) (1) فانظر كيف كانت سنة النبى ومسلكه وطريقته ومنهجه الدعوة الى الله وهل هذه السبيل التى كان عليها رسول الله وأتباعه شئ الا صراط الله المستقيم فان الصراط ليس طريقا حسيا يسير عليه الناس بأقدامهم وانما هو منهج وطريق ومسلك وسنة يسلكها العبد ليصل الى الله فان الطريق الى الله تقطع بالقلوب الخاشعات والأعمال الصالحات ولا تقطع بالأقدام . والصراط المستقيم هو صراط الذين أنعم الله عليهم وأولهم الأنبياء ونبينا أفضلهم وسبيله سبيلهم وسبيلهم هو الصراط المستقيم وسبيله الدعوة الى ربه وهداية الخلق الى الخالق على بصيرة فدل على أن الهداية الى هذا الصراط لا تحصل حقيقة كاملة تامة الا لمن دعا الى الله على بصيرة وسبحان الله والحمد لله رب العالمين ودل على أن هذا الصراط المستقيم يعبر عنه ويفسر بالدعوة الى رب العالمين . فالصراط المستقيم هو منهج وطريقة الذين أنعم الله عليهم من النبيين وخيرهم نبينا ومنهجه وطريقته الدعوة اذا الدعوة من معانى الصراط المستقيم وهذا بلا تعسف تفسير للقران بالقران .

ومن هذه الأدلة قوله : تعالى [واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ..... لعلكم تهتدون . ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وألئك هم المفلحون] (2)

يقول العلامة السعدى عن تفسير هذه الآيات ((لعلكم تهتدون الى شكر الله والتمسك بحبله وأمرهم بتتميم هذه الحالة ((الهداية)) والسبب الأقوى الذى

يتمكنون به من إقامة دينهم بأن يتصدى منهم طائفة يحصل بهم الكفاية يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وألئك هم المفلحون)) (3)

وانظر كيف ربط بين نهاية الأية الأولى وأول الأية الثانية حيث جعل الهداية تتم وتكمل بالدعوة الى الله فكأن قوله تعالى ((ولتكن منكم .....) إرشاد منه تعالى لتتميم الهداية السابقة وفى ذلك يقول الشتقيطى رحمه الله ((ومما يدل على أن تارك الأمر بالمعروف غير مهتد أنه تعالى أقسم أنه - العبد - فى خسر فقال ((والعصر ان الإنسان لفلا خسر إلا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق تواصوا بالصبر)) (4) فالفلاح ضد الخسران وهذا الفلاح لن يكون إلا لمن تواصوا بالحق والصبر وهو معنى قوله تعالى فى الآيات السابقة وأولئك هم المفلحون قال ابن باز رحمه الله ((فالمفلحون على الكمال والتمام هم هؤلاء الذين دعوا الى الخير وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر)) (5)

وهكذا تجد الترابط الوثيق بين الهداية وبين الدعوة الى الله مما يدل على أن هذه الدعوة من مستلزمات

(1) تفسير ابن كثير ج 2 ص 509
(2) أل عمران 104 - 105
(3) تفسير السعدى ج 1 ص 246
(4) أضواء البيان ج 1 ص 344
(5) رسالة فى وجوب الدعوة الى الله / للشيخ ابن باز قطاع صغير

الهداية الى الصراط فلا حرج أن يفسر الصراط بها ما دامت صفة من صفاته وسمه كبرى من سمات أصحاب هذا الصراط المهتدين والحمد لله رب العالمين .

ومن هذه الأدلة قوله تعالى [يا أيها الذين أمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم .....] (1)

يقل الدكتور محمود محمد عمارة فى معرض كلامة على هذه الأية ((وقد جاء فى تفسير أضواء البيان – قد يتوهم الجاهل من ظاهر هذه الأية عدم وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولكن نفس الأية فيها إشارة الى أن ذلك فيما اذا بلغ جهده فلم يقبل منه المأمور وذلك فى قوله ((اذا اهتديتم)) لأن من ترك الأمر بالمعروف لم يهتد ومن قال بهذا حذيفة وسعيد بن المسيب كما نقله عنه الألوسى وابن جرير ونقله القرطبى عن سعيد ابن المسيب)) ثم يقول الدكتور معلقا على هذا (ويريد الشيخ أن يقول ان ضلال العصاة لا يضرك أيها المسلم اذا اهتديت ولن تكون مهتديا الا اذا أمرتهم وبإلحاح أما اذا لم تأمرهم ابتداء فأنت لم تحصل فى

نفسك معنى الاهتداء وعليك أن تستكمل عناصر الهداية فيك بمحاولة تكميل الآخرين ليكونوا معك على الصراط المستقيم)) (2)

ومما سبق : يظهر جليا أن الاهتداء مرهون بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فمن دعا الى ربه فقد هدى الى صراط مولاه ومن قصر فى ذلك فان نصيبه من الهداية على قدر نصيبه فى السعى لهداية الخلق فان الجزاء من جنس العمل قال القرطبى رحمه الله ((والعبد لا يتم هداه الا بالإتيان بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والهدى فى هذه الأية هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر)) (3) . واذا فسر الهدى نفسه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر دل ذلك على أن الدعوة الى الله صفة غالبة على تلك الهداية ووصف لازم لأهل تلك الهداية الذين استكملوها فى أنفسهم وسعوا فى تكميل **الخلق بها من حولهم فكانوا حقا مهتدين الى صراط مستقيم دعوا ربهم فى صلاتهم فهداهم صراطا مستقيما .**

ومن هذه الأدلة :

ما أخرجه الدارمى والترمذى وغيرهما من طريق الحارث الأعور عن على قال سمعت رسول الله يقول ستكون فتن . قلت فما المخرج منها يا رسول الله قال : كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة **ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة السرد ولا تنقضى عجائبه ومن عمل به أجرو من قال به صدق ومن**

---

(1) المائدة 105
(2) سائح فى رياض القران أ . د محمود محمد عمارة ص 83 قطاع متوسط الطبعة الأولى 1997م – 1417 هـ ط مكتبة الإيمان
(3) الجامع لأحكام القران / القرطبى ج 2 ص 2433

حكم به عدل ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم)) (1)

قال الشيخ عبد الرحيم الطحان معلقا على هذا الحديث : رواه البغوى فى شرح السنة وغاية ما يقال فيه أنه مرفوع الى النبى أو موقوف على على ابن أبى طالب وعلى كل فهو كلام صحيح مقبول)) (2)

قلت : ومن تأمل فى قوله ((ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم)) وجده تطبيقا للقاعدة العظيمة ((الجزاء من جنس العمل)) فمن سعى فى هداية الخلق الى الصراط المستقيم جزاه الله بأن يهديه الى هذا الصراط . وتأمل تجد أن العبارة جاءت شريطة تفيد وقوع جواب الشرط اذا ما تحقق فعل الشرط فإذا وجدت الدعوة تحققت الهداية فكلاهما ملازم لصاحبه يكمل بكماله وينقص ينقصانه اذا دعا فقد هدى واذا كان مهتديا فله من الدعوة نصيب وبذلك يتضح لمن ألقى السمع وهو شهيد أنه لو كان للهداية وصف غالب فلن يكون سوى الدعوة إليها لذا لا غرو اذا فسرت الهداية الى الصراط المستقيم بالدعوة الى الله والحمد لله رب العالمين .

ومن هذه الأدلة : قوله تعالى [صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين]

فهذه الآية يعلم منها أن الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم مغاير مخالف لصراط المغضوب عليهم والضالين . واذا أردت أن تعرف صراطهم ((اليهود والنصارى)) فانظر بماذا ولماذا سموا بهذين الأسمين - المغضوب عليهم والضالين - حيث أضاف الله صراطهم الأعوج الى هذين الوصفين دون غيرهما من أوصافهم القبيحة وما أكثرها – كنقض العهود والتعنت فى الشرع وتأمل تجد أنهم استحقوا التسمية بهذين الأسمين لأنهم تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يقول تعالى [لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون] (3)

وقبل هذه الأية وصفهم بالضلال فقال [ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل] (4) فبسبب تركهم لإنكار المنكر ضلوا وأضلوا ثم لعنوا وانما يلعن الله من غضب عليه ((فالمغضوب عليهم من هؤلاء استحقوا ذلك الغضب بتركهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

(1) ضعيف ضعفه الألباني فى ضعيف الجامع الصغير ص 302 رقم 2081 قال الألبانى هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث حمزة الزيات وإسناده مجهول وفى حديث الحارث مقال

(2) شريط الاستقامة / للشيخ عبدالرحيم الطحان .

(3) المائدة 78 – 79

(4) المائدة 87

وفى الحديث الذى رواه أحمد وأبو داود والترمذى عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله : لما وقعت بنواسرائيل فى المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم وآكلوهم وشاربوهم فلما رأى الله ذلك منهم ضرف قلوب بعضهم ببعض ثم لعنهم على لسان أنبيائهم داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)) (1)

قلت : واذا ثبت ذلك أن صراط هؤلاء الذين غضب الله عليهم وكانوا من الضالين – صراطهم هو ترك الدعوة الى الله فيكون صراط الذين أنعم الله عليهم من معانيه وتفاسيرة الدعوة الى الله حيث إن صراط هؤلاء مخالف مغاير لصراط أولئك وهذا يفهم من سياق الأية بلا تكلف والحمد لله رب العالمين .

ومن هذه الأدلة ((الاستقراء والتتبع))

اذا تتبعنا أحوال هذه الأصناف الأربعة الذين أخبر عنهم ربهم أنه قد أنعم عليهم وجعل الصراط المستقيم هو صراطهم دون غيرهم من سائر المؤمنين تجدهم أقواما وأصنافا قد اختلفت أسماؤهم ودرجاتهم وأعمالهم التى نالوا بها هذه الدرجات فالصديق ليس نبيا والصالح ليس شهيدا فدل ذلك على أن هؤلاء بينهم ما يجمعهم من الصفات دون غيرهم والا لاكتفى سبحانه وتعالى بقوله [أولئك الذين أنعم الله عليهم من الصالحين] وعند ذلك ستدل هذه الكلمة على كل قربة وصلاح . واذا نظرنا الى ما فسر به العلماء الصراط المستقيم وجدنا هذه الأصناف الأربعة تشترك فى هذه المعانى فهم جميعا مسلمون عابدون يأتمرون بأوامر الوحى وينتهون عن نهيه ويتبعون الأنبياء .

قلت : وبينهم معنى أخر اشتركوا فيه جميعا وهو العمل لدين الله بالدعوة الى الله والسعى فى إصلاح الخلق من حولهم واليك برهان ذاك .

أول هذه الأصناف ((النبيون وهم الذين فضلهم الله بوحيه وإرسالهم الى خلقة ودعوته الى الله)) (3)

قلت : بل ما بعثوا الا ليعبدوا الخلق لله ويهدوهم اليه فيعبد الله وحده وهذه الحالة هى عين الدعوة الى الله ((ثانيهم الصديقون الذين كمل تصديقهم بما جاءت به

الرسل فعلموا الحق وصدقوه بيقينهم وبالقيام به قولا وعملا وحالا ودعوة الى الله)) (4)

قلت : تأمل كيف فسر العلامة السعدى معنى الصديق بالعلم والعمل والدعوة الى ما علم وعمل . وذلك لأنهم أتباع الرسل الذين صدقوهم ونصروهم كأبى بكر للنبى وكهذا الرجل الذى جاء مـــن أقصى

---

(1) رسالة وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر / للشيخ ابن باز رحمه الله .
(2) التعريف المختار أن الرسول من أوحى اليه بشرع جديد والنبى من أوحى اليه بشرع من قبله وكلاهما مأمور بالتبليغ والدعوة . الرسل والرسالات للدكتور عمر الأشقر ص 14 ؛ 15 ط دار النفائس الأردن الطبعة العاشرة 1421هـ - 2000م
(3) تفسير السعدى ج 1 ص 352
(4) تفسير السعدى ج 1 ص 352

المدينة يسعى لال شئ إلا ليدعو قومه [قال يا قوم اتبعوا المرسلين .....] فقتله قومه فقال [يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلني من المكرمين] قال ذلك عندما دخل فى رحمة الله وجنته وهذا صديق كأبى بكر لم يذكر له القران فضلا أو موقفا غير هذا الموقف الذى أعلن فيه إيمانه ودعوته الى الله قال قتادة ((لا تلقى المؤمن الا ناصحا وقال ابن عباس نصح قومه فى حياته بقوله [يقوم اتبعوا المرسلين] وبعد مماته بقوله [يا ليت قومى يعلمون] قال أبومجلز [بما غفر لى ربى وجعلني من المكرمين] أى بايمانى بربى وتصديقى المرسلين)) (1)

قلت : وهؤلاء الصديقون فى حقيقة الأمر هم أكثر الناس تضحية لدينهم بعد الأنبياء وأحرصهم على هداية الخلق بعدهم لأنهم أكثر الأمة تصديقا وأولهم إتباعا فى زمن الغربة ومن تأمل حياة أبى بكر وجد ذلك جليا لا يخفى على ذى بصيرة وتأمل تجد أن الموقف الذى ذكره القران لصديق موسى هو نفسه الذى سجل لأبى بكر حينما قال كل منهما مدافعا عن نبيه وناصرا لدينه [أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ...] وقد سجل القران لمؤمن ال فرعون صديق موسى قوله [ويا قوم ما لى أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار] بل كل ما ذكر عنه يدخل تحت هذا المعنى أعنى الدعوة والتبليغ وإذا ذكر أبو بكر قيل هو أول من أسلم من الرجال ثم خرج فدعا خمسة الى الإسلام كلهم مبشرون بالجنة ولو حاولنا حصر ما فعله فى هذا الجانب لكنا جاهلين بقدره إذ إن عد النجوم لا يثمر بل قال الدكتور مجدي الهلالي فى إحدى محاضراته بعنوان طوق النجاة .

قال : وقد فسر بعضهم قول النبى (ما سبقكم أبوبكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشئ وقر فى قلبه)) قالوا والذي كان فى قلب أبى بكر المحبة لله والنصيحة للمؤمنين)

قلت : وفيما ذكر كفاية لأن يعلم أن الصديقين لو كان لهم وصف غالب وسمة مميزة لكانت هى الدعوة الى الله والسعى فى هداية الخلق أجمعين والحمد لله رب العالمين .

ثالثهم الشهداء الذين قاتلوا فى سبيل الله لإعلاء كلمة الله فقتلوا)) (2)

قلت : وهذا الأمر فى حق الشهداء واضح جلى لا يحتاج الى بيان واستدلال فهم الذين ضحوا لنصرة دين ربهم وإعلاء كلمته وقتل من يصد عن سبيله ويمنع الناس من إتباع شريعته فشهدوا بلسان حالهم أن دين الله أعز من أرواحهم فبرهنوا على ذلك بأن قدموا دماءهم فداء لهذا الدين وما شرع الجهاد الا لدفع الأعداء الذين يريدون أن يجعلوا الخلق عبيدا لهم فنقاتلهم لنعبد الخلق لله . ثم شرع لنعبد العالمين كلهم فنفتح البلاد ونهدى العباد لأن الدين الاسلامى جاء ليكون رحمة للعالمين .

(1) صحيح مختصر ابن كثير ج 3 ص 1504

(2) تفسير السعدى ج 1 ص 352

رابعهم الصالحون الذين صلح ظاهرهم وباطنهم وصلحت أعمالهم)) (1)

قلت : وصلاح الظاهر والباطن اذا كان حقيقيا صادقا استلزم ولابد السعى فى إصلاح الخلق لأن من صلاح الباطن بل من أصول صلاح القلب اعتراف القلب بنعمة الله عليه وفضل الله الذى أسداه اليه وقلب هذا حاله لا يرى محارم ربه تنتهك وحدوده يتعدى عليها ثم يكتفى بأن يغض عن ذلك طرفا ودونك دليلين يستدل بهما على أن الصالحين هم من كمل صلاح قلوبهم ومن ثم سعوا فى إصلاح الخلق من حولهم .

أولا : قوله تعالى فى وصف طائفة صالحة من أهل الكتاب [يؤمنون بالله واليوم ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وألئك من الصالحين] (2)

فأخبر سبحانه أنهم يدعون الى الله ثم جعلهم من جملة الصالحين ولم يقل من المصلحين ليدل ذلك على أن الصالح من فعل مثل فعلهم .

ثانيا : عن جابر مرفوعا (أوحى الله الى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها قال : إن فيها عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين قال : اقلبها عليه وعليهم وفى رواية أحمد به فابدأ فان وجهه لم يتمعر فى ساعة قط) (3)

ووجه الاستدلال بهذا الحديث أن العبد يسأل ربه أن يهديه الصراط المستقيم لينجوا من العذاب فلو كان الصالحون فى أية سورة النساء هم الذين صلحوا فى ذواتهم وتركوا ما وجب عليهم من الدعوة الى الله لكان مصيرهم ومصير من هو على صراطهم مصير هذا العبد الذى بدئ به العذاب وتنزه ربنا وتقدس **أن يأمرنا أن نسأله الهداية الى صراط قوم يبدأ بهم العذاب لأنهم تخلوا عن نصرة دينه لذلك فان الصالحين لو كان لهم وصف غالب وسمة مميزة لكانت الدعوة الى دين سيد المرسلين والحمد لله رب العالمين .**

ومما سبق من استقراء لأحوال الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ظهر لنا أن هؤلاء ما سبقوا الخلق بشئ كهذا الأمر أعنى صلاحهم فى أنفسهم وسعيهم فى إصلاح الخلق من حولهم بالعمل لدين الله بالنفس والمال واللسان يدعون الى الله على بصيرة وهداية ونور ويقين بنصر الله وقد أردنا من سرد تلك الأدلة أن نبين أن تفسير الصراط المستقيم بالعمل لدين الله والدعوة الى الله تفسير ثابت بالكتاب والسنة واستقراء أقوال علماء الأمة ويمكن الجمع بين هذا التفسير وبين ما فسر به الصراط المستقيم من أمور أخرى بأن نضيف الى تفسير الصراط بالإسلام بأنه الالتزام بشرائع الاسلام والدعوة **اليه ونضيف الى تفسير الصراط بالقران الالتزام بأوامره واجتناب نواهيه والدعوة الى ذلك ونضيف الى تفسير الصراط بالعبودية بأنه عبودية الإنسان لربه ودعوة غيره الى تلك العبودية ونضيف الى تفسير الصراط بإتباع**

(1) المرجع السابق نفسه ج 1 ص 352
(2) أل عمران 114
(3) قال الهيثمى فيه عبيدا لله بن إسحاق العطار عن عمار ابن يوسف وكلاهما ضعيف ولكن وثق عمار ابن المبارك
وجماعة ورضى أبو حاتم عبيد ابن اسحاق فى مجمع الزوائد – انظر الطبرانى الأوسط ج 7 ص 387 رقم
7661 ط دار الحديث القاهرة الطبعة الأولى 1417هـ - 1996م 10 مجلدات حققه أيمن شعبان وسيد أحمد
اسماعيل

النبى بأنه إتباع النبى فى نفسه ودعوة غيره الى ذلك ومن لم يفعل الأمرين معا فلا يصدق عليه أنه هدى الى الصراط مستقيم لأن هذا الأمر – الدعوة الى الله – هو أخص أوصاف المؤمنين قال تعالى [والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر] يقول القرطبى فى هذه الأية أخبر سبحانه بأن هذا الأمر وهو الدعوة الى الله هو الفارق بين المؤمنين وبين المنافقين)) (1)

ويقول الدكتور عبدالكريم زيدان ((بعد استدلاله بقوله تعالى [قل هذه سبيلى أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن أتبعنى] ((فأتباع النبى يدعون الى الله على بصيرة كما كان رسولهم يدعو ومعنى ذلك أن من اللوازم الضرورية لإيمان المسلم أن يدعو الى الله فإذا تخلف عن الدعوة دل تخلفه هذا على وجود نقص أو خلل فى إيمانه يجب تداركه بالقيام بواجب الدعوة الى الله)) (2)

وفى ختام هذه المسألة نرجوا من الله أن نكون قد أصبنا القول فى أن الصراط المستقيم والهداية إليها من معانيها الدعوة الى الله فسؤال العبد الهداية من ربه الى الصراط المستقيم هو سؤال أن يصبغه بصبعة الاسلام هو سؤال أن يجعله يحيا بالقران هو سؤال أن يكون عبدا خالصا لله هو سؤال أن يجعله متبعا رسول الله هو سؤال أن يجعله من العاملين لدين الله الداعين الى الله وعليه فاعلم – أيها الحبيب – أن من قرأ الفاتحة ولم يوفق لهذا الفضل وهو أن يستعمله ربه فى خدمة دينه عالما بوجوب ذلك عليه فهو غير مستجاب الدعوة اذ لو استجاب له ربه لهداه الى هذا الصراط المستقيم وذاك الفضل العميم وان الله لا يظلم مثقال ذرة . فان هذا السائل يدعوا ربه وهو منغمس فى دنياه مشتغل بما أتاه لا يكاد يفيق برهة من زمن يضع فيها حدا لتلك الفوضى التى يستنكرها اذا وجدها فى المجتمع من حوله ثم اذا هى تدب فى أوصال قلبه ولله در القائل

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها & إن السفينة لا تجرى على اليبس

نعم أيها الأحبة ان الله لن يوفق لهذا الفضل الا أقواما تمعرعت وجوههم غضبا لانتهاك محارم ربهم وانما تمعرت الوجوه بعدما كادت تنخلع القلوب غيظا . نعم أيها الحبيب أى إيمان هذا وأى التزام ذاك الذى يجعل صاحبه هادئ البال قرير العين مطمئنين النفس بينما البشرية تنصاع لآمر غير ربها ومشرع غير رسولها كيف تستريح سريرته والتعدي على حدود الله أصبح أسوغ من شرب الماء البارد . ان من يستشعر أن هذا الرب الذى قد انتهكت محارمه وتعدى على حدوده وعذب أولياؤه وأكرم أعداؤه ونحى شرعه هذا الرب هو الذى خلقة ورزقه ورعاه ورباه وسدل عليه ستره وتغمده برحمته وأعطاه من فضله بعدما عصاه قال تعالى على

لسان إبراهيم [الذى خلقني فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين] هو مالك يوم الدين يوم سكرات موته يوم سؤال قبره يوم حشره ونشره يوم دخوله الجنة أو النار من تذكر ذلك لا يسعه حينها الا أن ينبعث الغضب من شغاف قلبه حبا لربه ورهبة من مولاه متمثلا فى دعوة الى دين هذا الإله فيدل الخلق على الخالق ويحببهم اليه وعندها يجتبيه ربه فيجعله مع الذين أنعم الله عليهم

(1) بتصرف من تفسير القرطبى ج 4 ص 37

(2) أصول الدعوة للدكتور عبدالكريم زيدان ص 310 مؤسسة الرسالة الطبعة التاسعة 1420هـ - 1999م

وعندئذ يفوز بما فاز به هؤلاء وما أدراك ما فاز به هؤلاء

فطعامهم ما تشتهييه نفوسهـــم & ولحوم طير ناعـــم وسمان

وفواكه شتى يحسب مناهـــــم & يا شبعة كملت لذى الإيمان

وصحافهم ذهب تطوف عليهم & بأكف أقمـــــار من الولدان

فنعم عقبى الدار فاللهم اهدنا الصراط المستقيم .

المطلب الثانى

معانى [صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم]

وفيه فرعان

الفرع الأول : أوجه البلاغة فى الأية

الفرع الثانى : معانى الأية الكريمة

الفرع الأول

أوجه البلاغة فى الأية

أولا : هذه الأية بيان للصراط المستقيم فهو صراط [الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اؤلئك رفيقا] (1)

وهذا البيان هو أول وجه من أوجه البلاغة فى الأية الكريمة وهو ما يسمى عند البلاغيين بالتصريح بعد الإبهام .

ثانيا : الإيجاز بحذف فاعل الغضب فى قوله [غير المغضوب عليهم] فأضاف تعالى النعمة الى نفسه ثم حذف فاعل الغضب وذلك لفوائد منها :

أولا : أن النعمة خير وفضل والغضب انتقام وعدل والرحمة تغلب الغضب فأضاف الى نفسه أكمل الأمرين وأغلبهما عنده وهى كقوله تعالى على لسان إبراهيم [واذا مرضت فهو يشفين]

ثانيا : أن الله سبحانه متفرد بالنعم [وما بكم من نعمة فمن الله] فأضيف اليه ما هو متفرد به أما الغضب على أعداء الله فلا يختص به الله بل ملائكته وأنبياؤه ورسله وأولياؤه يغضبون لغضب ربهم أما النعمة فلا يشاركه فيها أحد .

ثالثا : أن فى حذف فاعل الغضب من الإشعار بإهانة المغضوب عليهم وتحقيرهم ما ليس فى ذكر الفاعل)) (2)

---

(1) النساء 69

(2) تهذيب مدارج السالكين ص 20

الفرع الثانى

معانى الأية الكريمة

هذه الأية تجعل العبد يأنس برفقة صالحة ومن ثم تزول وحشة الطريق من قلة السالكين فطريقه هو طريق الذين أنعم عليهم من قبل يقول ابن القيم ((وأضاف الصراط الى السالكين ليزول عن طالب الهداية وحشة تفرده عن أهل زمانه وبنى جنسه وليعلم أن رفيقه فى هذا الطريق هم الذين أنعم الله عليهم وقد قال بعض السلف : عليك بطريق الحق ولا تستوحش لقلة السالكين وإياك وطريق الباطل ولا تغتر بكثرة الهالكين وكلما استوحشت فى تفردك فانظر الى الرفيق السابق واحرص على اللحاق بهم وغض البصر عما سواهم)) (1) وهذه المشاعر على عظم قدرها يسهل أن ينالها صاحب القلب الحى الذى ما زال للإيمان فيه بقية وللصلاح فيه نصيب فما على العبد الا أن يتدبر ما يقرأه فيحصل له هذا الأنس وتزول عنه وحشة الطريق يقول صاحب الظلال ((إنها اللمسة التى تستجيش مشاعر قلب فيه ذرة من خير وفيه بذرة من صلاح وفيه أثارة من التطلع الى مقام كريم فى صحبة كريمة فى جوار الله الكريم)) (2)

وفى نفس المعنى يقول الشيخ محمد صفوت نور الدين ((تذكر الأية أن كل مسلم ينظر الى نفسه عضوا فى رفقة عظيمة قد مضى منهم الأفضل قدرا والأكثر عددا فأين النبيون وأين الصديقون وكم يصطفى الله من بعد من شهداء ويرضى عن صالحين وحسن ألئك رفيقا . ومن عمل لينال تلك الرفقة وصدق فى عمله فان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا)) (3) فكيف تبقى للعبد وحشة وهو رفيق النبين

والصديقين والشهداء والصالحين ورفقته لهم لا يلزم منها قرب الأجسام وتلاقى الأشخاص وانما هى رفقة قلوب ومنهج وسبيل وحسن ألئك رفيقا .

وأما قوله تعالى [غير المغضوب عليهم ولا الضالين]

والمعنى كما قال ابن عباس ((ألهمنا دينك الحق وهو لا اله الا الله وحده لا شريك له حتى لا تغضب علينا كما غضبت على اليهود ولا تضلنا كما أضللت النصارى)) (4) فالمغضوب عليهم هم اليهود والضالون هم النصارى فعن عدى بن حاتم سمعت رسول الله يقول ((إن المغضوب عليهم اليهود وان الضالين هم النصارى)) (5)

---

(1) تهذيب مدارج السالكين ص 25

(2) ظلال القران ج 2 ص 699

(3) مجلة التوحيد العدد الأول السنة الخامسة والعشرون محرم 1417 هـ بعنوان فاتحة الكتاب وفاتحة العام

(4) جامع البيان للطبرى ج 1 ص 116

(5) أخرجه أحمد والترمذى وحسنه ابن حبان فى صحيحه . والطبرى فى الأوسط ج 4 ص 315 رقم 3813

فالعبد يسأل ربه أن يهديه صراطا مستقيما لا جهل فيه ولا عمى فيكون بذلك قد نجا من ضلال النصارى ويعوذ بربه أن يعلم فلا يعمل فيكون معاندا فيغضب ربه عليه بل علم وعمل فيكون بذلك قد نجا من غضب الله على اليهود وكلا من اليهود والنصارى مغضوب عليهم وضالون يقول ابن كثير ((وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليهم لكن أخص أوصاف اليهود الغضب وأخص أوصاف النصارى الضلال)) (1)

وأختم هذه المسألة بكلام قيم للإمام ابن القيم فى فضل هذا الدعاء الجامع اهدنا الصراط المستقيم وحاجة العبد اليه فى كل أحواله وأزمانه حيث يقول ((يسأل العبد ربه أن يهديه الصراط المستقيم فليس العبد أحوج منه الى شئ من حاجته الى تلك الدعوة وليس شئ أنفع له منها . فان الصراط المستقيم يتضمن علوما وأعمالا وإيرادات وتروكا ظاهرة وباطنه تجرى عليه كل وقت . فتفاصيل الصراط المستقيم قد يعلمها وقد لا يعلمها وقد يكون ما لا يعلمه أكثر مما يعلمه ؛ وما يعلمه قد لا يقدر عليه وما يقدر عليه قد تريده نفسه وقد لا تريده كسلا وتهاونا أو لقيام مانع . وما تريده قد يفعله وقد لا يفعله وما يفعله قد يخلص فيه وقد لا

يخلص وما يخلص فيه قد يقوم فيه بكمال المتابعة وقد لا يقوم وما يقوم فيه بذلك قد يثبت عليه وقد لا يثبت وهذا كله واقع سار فى الخلق مستقل ومستكثر وليس فى طباع العبد الهداية الى ذلك بل متى وكل الى طباعة حيل بينه وبين ذلك)) (2) لذا فهو فى حاجة أن يسأل ربه هداية الى صراط مستقيم فاللهم اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

وخلاصة القول :

أن العبد بعدما أخبر عن توحيده ربه فى قوله إياك نعبد وإياك نستعين شرع يسأل ربه الهداية الى الصراط المستقيم وكأنه يتوسل الى ربه بخير أعماله الصالحة ((التوحيد)) حيث قدم ذكره بين يدى دعائه وهذا توسل مشروع . وكذلك توسل فى أول دعائه بأسماء الله الحسنى وصفاته العلا

وقد جاء قوله اهدنا الصراط ليكون تطبيقا عمليا لقوله إياك نعبد وإياك نستعين فالدعاء تتجلى فيه روح العبادة والتذلل والاستعانة والافتقار اذ لا يسأل الا غنى ولا يسأل الا فقير .

وجاء سؤال العبد جامعا لهداية الإرشاد والتوفيق والثبات حيث قال اهدنا الصراط ليدخل فى ذلك اهدنا

(1) تفسير ابن كثير ج 1 ص

(2) الداء والدواء ص 154

الى الصراط واهدنا فى الصراط .

ثم بين قوله - صراط الذين أنعمت عليهم - هذا الصراط المستقيم ليتميز عن غيره ولا يشتبه بسواه فهو القران وهو الاسلام وهو العبودية وهو العمل لدين الله والدعوة الى الله التى يدخل فيها الدعوة الى الاسلام والقران والعبودية فبها - الدعوة الى الله - تتم الشريعة أى يتم أمرها ويسود وبدونها ينقص الخير وتزول النعم فكانت هى الحالة المتممة للهداية وكان المرء بدونها لم يستكمل مراتب الدين إذ إن الناس منهم المسلم ومنهم المؤمن وقليل من الناس المحسنين فالحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين

اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

المبحث الثامن

معنى قولنا ((أمين))

يستحب لمن يقرأ الفاتحة أن يقول أمين بعدها سواء كانت بالمد آمين أو القصر أمين ومعناها اللهم استجب والدليل على استحباب التأمين عن أبى هريرة أن رسول الله ((قال)) : إذا قال الإمام : غير المغضوب عليهم ولا الضالين . فقال من خلفه : آمين فوافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه)) (1)

وتأمل تجد أن هذه الكلمة عندما تأتى فى نهاية الدعاء تعطى جوا لهذه السورة الكريمة يمتلئ ثقة باستجابة الله لدعاء عباده مع ما تعطيه هذه الكلمة للآيات من تناسق وارتباط بين الدعاء وسؤال القبول يقول الأستاذ حسن البنا رحمه الله ((لا جرم أن آمين براعة مقطع فى غاية الحسن والبهاء فأى شئ أولى بهذه البراعة من فاتحة الكتاب والتوجه الى الله بالدعاء)) (2)

آمين آمين لا أرضى بواحدة & حتى أبلغها ألفين آمينا

والحمد لله رب العالمين

---

(1) رواه مسلم ص 98 رقم 410
(2) صفوة التفاسير ج 1 ص 27

خاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ؛ والصلاة والسلام على من كانت رسالته خاتمة الرسالات وأشهد أن لا اله إلا الله رب الأرض والسماوات ؛ وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صاحب الآيات والمعجزات

وبعد ....

فقد تم بحمد الله وحوله وقوته ما عنيت بجمعه وتفسيره وسعيت فى ترتيبه وتوضيحه وتقريره ولا أدعى أنني جئت فيه بجديد . وقد راعيت فى هذا العمل أن يكون فيه من تزكية النفوس وصلاح القلوب وزيادة الإيمان نصيب لباغيه وأن يكون فيه من العلم الشرعى المأخوذ من الدليل النقلى حظ وفير لطالبه . وأن يكون فيه من تصحيح المفاهيم وتوضيح المصطلحات إشارات لمن رام ذلك واعيا وله متنبها . ولما كان هذا العمل تفسيرا للفاتحة وكانت الفاتحة كثيرة المعاني وجمة العلوم وكان على المسلم أن يستفيد من هذا كله على قدر استطاعته فاني أقترح على القارئ الكريم بعد فراغه من هذا المختصر أن يعيد قراءة تفسير كل أية على حدة ثم يستشعر ما فى هذه الأية من معان ومناسبات وفوائد وعظات ويتعهد نفسه وقلبه بتفسير هذه الآية يوما أو يومين أو أكثر فى صلاته حتى يرسخ ما قرأه فى عقله ويحس به فى قلبه ويتلذذ به فى مناجاة ربه ثم ينتقل الى الأية الثانية وهكذا لتتجدد عانى الفاتحة التى يكررها الإنسان المسلم فى حياته أكثر مما يردد اسمه فى كثير من الأحيان .

ومهما بذلت من جهد فى هذا العمل فلا بد وأن يكون للتقصير فيه نصيب فان آيات الفاتحة لو تفرغ لها الإنسان لكتب فى كل منها مثل هذا المختصر . فمن رأى عيبا فى هذا العمل أو لاحظ خللا فليصلح العمل وليسد الخلل لاسيما وقد اضطررت لضيق الوقت وتواضع المراجع الى العجلة فى بعض مواضع هذا البحث مثل كتب تخريج الأحاديث على سبيل المثال .

والله أسأل أن يكون هذا العمل صالحا ولوجهه خالصا وأن يكون عونا على تدبر كتابه وأن يكون دافعا للدعوة اليه وأن يقرأه من يقرأه ثم يعلمه لغيره بعدما يعمل به ويأمر غيره أن يعمل به .

ولا أريد من قارئه شكرا وعرفانا ولا ذكر ولا ثناء إنما أرجو منه دعوة بظهر الغيب أن يعفو الله عن زلاتي ويغفر لى جرأتي وعثراتي وألا يجعل حظي من قولي لفظي وأن يغفر لى ولوالدي وللمسلمين وأن يهدينا جميعا صراطه المستقيم إنه ولى ذلك والقادر عليه والحمد لله رب العالمين .

المراجع مرتبة أبجديا حسب اسم الكتاب

- علوم القران –

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	التفاصيل
1	أحكام القران	لابن العربى المالكي	ط دار الفكر بيروت تحقيق على محمد البيجاوى
2	أحكام القران	للجصاص الرازى	ط دار الفكر بيروت 1993م – 1414هـ للإمام أبى بكر أحمد الرازى الجصاص توفى 370هـ - راجعه صدقى محمد جميل
3	أضواء البيان	محمد الأمين الشنقيطى	ط دار إحياء التراث العربى بيروت الطبعة الأولى 1417هـ - 1996م
4	إعراب القران وبيانه	محى الدين درويش	ط دار ابن كثير بيروت الطبعة الثالثة 1412هـ - 1992م 10 مجلدات
5	الإتقان فى علوم القران	للإمام السيوطى	ط دار الفكر بيروت الطبعة الأولى 1420هـ - 1999م مجلدين
6	الإيجاز فى نص الإعجاز	د/ مختار عطية	المدرس بكلية الآداب جامعة المنصورة طبعة دار المعرفة الجامعية 1997م
7	البحر المحيط	لأبى حيان الأندلسى	الطبعة الثانية 1398هـ - 1978م ط دار الفكر بيروت 8 مجلدات
8	البدور الزاهرة	للشيخ عبدالفتاح القاضى	الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة خاصة بالمعاهد الأزهرية 1414هـ - 1995م
9	التفسير الكبير	لأبى بكر الرازى	ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى 1411هـ - 1990م 16 مجلد
10	الجامع لأحكام القران	لأبى عبدالله القرطبى	ط دار الغد العربى الطبعة الخامسة 1988م – 1409هـ 10 مجلدات
11	الكشاف	للزمخشرى	تحقيق محمد الصادق القمحاوى ط دار مكتبة ابن تيمية مصطفى البابى وأولاده 1392هـ - 1972
12	أيسر التفاسير	لأبى بكر	ط مكتبة العلوم والحكم – المدينة

		الجزائرى	المنورة الطبعة الأولى 1415هـ- 1994م وبهامشها نهر الخير على أيسر التفاسير
13	تفسير ابن كثير	الإمام ابن كثير	ط دار مصر القاهرة 4 مجلدات
14	تفسير القران	محمد متولى الشعراوى	مراجعة أحمد عمر هاشم ط دار أخبار اليوم 1411هـ- 1991م 5 مجلدات
15	تيسير الكريم الرحمن	عبدالرحمن السعدى	مراجعة علاء السعيد ط دار الفكر بيروت 1415هـ - 1995م 5 مجلدات
16	زاد المسير	لابن الجوزى	ط المكتب الاسلامى 9 مجلدات
17	سائح فى رياض القران	د/ محمود محمد عمارة	قطاع متوسط الطبعة الأولى 1997م – 1417هـ ط مكتبة الإيمان
18	صحيح مختصر ابن كثير	أحمد عبدالرازق ؛ محمد عادل ؛ محمد عبداللطيف	ط دار السلام الطبعة الثانية 1422هـ - 2002
19	صفوة التفاسير	محمد على الصابونى	ط دار القران الكريم بيروت الطبعة الرابعة 1402هـ - 1981م
20	فتح القدير	للإمام الشوكانى	ط دار المعرفة بيروت 5 مجلدات
21	فى ظلال القران	سيد قطب	ط دار الشروق الطبعة السابعة عشرة 1990م 6 مجلدات
22	محاسن التأويل	جمال الدين القاسمى	ط دار الفكر بيروت الطبعة الثانية 1398هـ - 1978م 10 مجلدات
23	محاضرات فى تفسير الفاتحة	أبى بكر الجزائرى	شرائط كاسيت
24	معالم التنزيل	للإمام البغوى	ط دار طيبة الرياض 8 مجلدات حققه محمد عبدالله النمر وعثمان جمعة وسليمان الحرش طبعة 1409هـ

علوم السنة

25	فتح البارى	لابن حجر العسقلانى	دار المطبعة السلفية بالقاهرة الطبعة الثالثة 1407هـ - 13 مجلد
26	السلسلة	للشيخ الألباني	ط المكتب الاسلامى الطبعة الثالثة

	الصحيحة		1403هـ - 1983م
27	المعجم الأوسط	للطبراني	ط دار الحديث القاهرة الطبعة الأولى 1417هـ - 1996م 10 مجلدات حققه أيمن شعبان وسيد أحمد اسماعيل
28	شرح النووى	للإمام النووى	ط دار المنار القاهرة الطبعة الأولى 1418هـ - 1997م تحقيق صلاح عويضة . مراجعة محمد شحاته
29	صحيح الأحاديث القدسية	عصام الدين الصبابطى	ط دار الحديث القاهرة الطبعة السابعة 1419هـ - 1998م
30	صحيح الجامع الصغير للسيوطى	صححه الألباني	ط المكتب الاسلامى مجلدين 1408هـ - 1988م
31	صحيح سنن أبى داود	للألباني	ط مكتب التربية العربى الرياض علق عليه زهير الشاويش الطبعة الأولى 1409هـ - 1989م
32	نزهة المتقين	مصطفى سعيد ؛ مصطفى البغا	ط مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية عشرة 1406هـ - 1986م

الفقه

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	التفاصيل
33	**البدائع (بدائع الصنائع)**	للكسانى	ط دار الفكر بيروت الطبعة الأولى 1417هـ - 1996م
34	الشرح الممتع	لابن العثيمين	مؤسسة اسام الرياض 1416هـ- 1995م
35	المجموع	للنووي	تحقيق محمود مطرجى ط دالا الفكر بيروت الطبعة الأولى 1417 هـ - 1996م
36	المحلى	لابن حزم	ط دار الفكر بيروت
37	المغنى	لابن قدامة	ط دار الحديث القاهرة الطبعة الأولى 1416هـ - 1996م توفى سنة 630هـ
38	الهداية مع الفتح	للمراغيانى	ط دار الفكر بيروت لبنان
39	حاشية	**شمس الدين محمد عرفة الدسوقي**	ط دار الحديث القاهرة

	الدسوقي		
40	كيفية صلاة النبى	للألباني	ط المكتب الاسلامى الطبعة الخامسة

اللغة

م	اسم الكتاب	المؤلف	التفاصيل
41	المعجم الوسيط	مجمع اللغة العربية	مجلد واحد الجزء الأول والثانى الطبعة الثانية 1392هـ - 1972م مجمع اللغة العربية

كتب أخرى

م	اسم الكتاب	المؤلف	التفاصيل
42	أصول الدعوة	د/ عبدالكريم زيدان	ط مؤسسة الرسالة الطبعة التاسعة 1420هـ - 1999
43	الداء والدواء	لأبن القيم	تحقيق عبدالحميد هنداوى ط دار الصحيفة بالقاهرة مجلد واحد
44	الرسل والرسالات	د/ عمر الأشقر	ط دالا النفائس الأردن الطبعة العاشرة 1421هـ - 2000
45	الفتاوى	لابن تيمية	مقدمة التفسير طبعة مكتبة ابن تيمية 37 مجلد
46	الفوائد	لابن القيم	ط دار المنار القاهرة راجعه محمد الزغبى الطبعة الأولى 1415هـ - 1995
47	المصطلحات الأربعة	لأبى الأعلى المودودى	ط دار التراث العربى الحسين الطبعة الثانية 1406هـ - 1986 م
48	بدع القراء	للشيخ بكر ابن عبدالله أبوزيد	طبعة مكتبة السنة قطاع صغير الطبعة الأولى القاهرة 1420هـ - 1999م
49	تهذيب مدارج السالكين	محمد بيومى	مجلد واحد راجعه محمد بيومى ط مكتبة الايمان 1418هـ - 1997م
50	رسالة العبودية	لابن تيمية	**ط المطبعة السلفية الطبعة الرابعة 1400هـ - توفى 728هـ - ولد 661 هـ .**
51	فتح المجيد	الشيخ حسن أل الشيخ	**تعليق الشيخ ابن باز ط دار الحديث القاهرة طبعة 1422هـ - 2001م مجلد واحد**
52	معارج القبول	الشيخ حافظ	تحقيق سيد عمران وعلى محمود ط دار

		حكمى	الحديث 1420هـ - 1999 القاهرة مجلدين
53	منهاج المسلم	لأبى بكر الجزائرى	ط المكتبة التوفيقية الحسين الطبعة الأولى 13284هـ - 1964م

الفهرس

م	اسم الموضوع	الصفحة
1	مقدمة	1
2	الفصل الأول	3
3	المبحث الأول (فضل القران)	4
4	المبحث الثانى (فضل سورة الفاتحة)	7

5	المبحث الثالث (الأحكام الفقهية المتعلقة بسورة الفاتحة)	13
6	المطلب الأول (هل تتعين قراءة الفاتحة فى الصلاة)	13
7	المطلب الثانى (هل تلزم المأموم قراءة الفاتحة)	16
8	المطلب الثالث (هل البسملة أية من الفاتحة)	20
9	المطلب الرابع (هل يجهر بالبسملة أم يسر)	25
10	المطلب الخامس (أخطاء فى الفاتحة تبطل بها الصلاة)	29
11	المبحث الرابع (القراءات الواردة فى سورة الفاتحة)	30
12	المطلب الأول (مذاهب القراء فى الاستعاذة)	30
13	المطلب الثانى (مذاهب القراء فى البسملة)	33
14	المطلب الثالث (الكلمات التى اختلفت فيها مذاهب القراء)	34
15	المبحث الخامس (اعراب كلمات سورة الفاتحة)	35
16	الفصل الثانى (العطور الفائحة فى تفسير سورة الفاتحة)	37
17	المبحث الأول (معنى كلمة سورة)	38
18	المبحث الثانى (تفسير قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم)	38
19	المطلب الأول (معنى كلمتى اسم – الله)	38
20	المطلب الثانى (معانى بسم الله)	39
21	المطلب الثالث (معانى الرحمن الرحيم)	41
22	المبحث الثالث (تفسير قوله تعالى الحمد لله رب العالمين)	43
23	المطلب الأول (قوله الحمد لله)	43
24	المطلب الثانى (قوله رب العالمين)	49
25	المبحث الرابع (تفسير قوله تعالى – الرحمن الرحيم -)	53
26	المبحث الخامس (تفسير قوله تعالى – مالك يوم الدين)	54
27	المطلب اللأول (تعريف كلمتى مالك – دين)	54
28	المطلب الثانى (معانى مالك يوم الدين)	56
29	المبحث السادس (تفسير قوله تعالى إياك نعبد واياك نستعين)	59
30	المطلب الأول (تعريف العبادة – الاستعانة)	59
31	المطلب الثانى (معانى إياك نعبد وإياك نستعين)	60
32	المطلب الثالث (الحكمة من ترتيب الاستعانة بعد العبادة)	62
33	المبحث السابع (تفسير قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)	63
34	المطلب الأول (تفسير اهدنا الصراط)	63
35	المطلب الثانى (معانى – صراط الذين أنعمت عليهم غير	75

	المغضوب عليهم ولا الضالين)	
36	المبحث الثامن (معنى قولنا آمين)	78
37	خاتمة	79
38	المراجع	80